دائـــرة الشـــؤون الإســـلامية والعمـــل الخيـــري
Islamic Affairs & Charitable Activities Department

حكومة دبي
GOVERNMENT OF DUBAI

رعاية الأسرة المسلمة للأبناء

شواهد تطبيقية من تاريخ الأمة

د. عبدالحكيم الأنيس
كبير باحثين أول بإدارة البحوث

صف وإخراج
نايل بدوي آدم

حقوق الطبع محفوظة

ISBN978-9948-859

الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي
إدارة البحوث

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١+ فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١+
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
mail@iacad.gov.ae www.iacad.gov.ae

بسم الله الرحمن الرحيم

قال التابعي الجليل عامر بن شراحيل الشعبي (ت:١٠٤هـ):

«لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن، فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبل من عمره، رأيت أن سفره لم يضع».

افتتاحيـة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسـلام على سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

وبعـــد: فيسر « **دائرة الشـؤون الإسـلامية والعمـل الخيري بدبي - إدارة البحـوث** » أن تقدِّم إصدارها الجديد «رعاية الأسرة المسـلمة للأبناء بمنظار تاريخي: شواهد ومشاهد».

وهـذا الكتـاب إضافـة جديـدة إلى مكتبة تربيـة الأبناء في الإسـلام، ويتولى الكشـف عن الجوانب التطبيقية في هذه التربية، مستنبطة استنباطاً عميقاً من تاريخ الأمة وأقوالها وأعمالها وتصرفاتها.

لقـد كتـب الكثير عن الجوانـب التأصيليـة لتربية الأبنـاء، ويأتي هذا الكتاب ليبين كيف طبقت الأسرة المسـلمة تلك الجوانب. وهو ما نحتاج اليوم إليه كثيراً لنستهدي به ونسترشد في عملية التربية، هذه العملية التي يتوقف عليها مستقبل الأمة.

وهـذا الإنجاز العلمي يجعلنا نقدم عظيم الشـكر والدعاء لأسرة آل مكتـوم حفظهـا الله تعالى التي تحب العلم وأهله، وتؤازر قضايا الإسـلام

والعروبة بكل تميز وإقدام ، وفي مقدمتها **صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم**، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي الذي يشيد مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي ويشجع أصحابه وطُلابه.

راجين من العلي القدير أن ينفع بهذا العمل، وأن يرزقنا التوفيق والسداد، وأن يوفق إلى مزيد من العطاء على درب التميز المنشود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصَلَّى الله على النَّبيِّ الأميِّ الخاتم سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مدير إدارة البحوث

د. سيف بن راشد الجابري

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فحين يولد لأحدنا ولد ينظر إليه، إلى بضعة مخلَّقةٍ منه، وتملأ الفرحة أرجاء قلبه، وقد يسرح به الخيال إلى أجواء لا يمكن وصفها، والطفل هذا الكائن الجميل، القريب العهد بربه حقيق بهذه الفرحة، ولكنه حقيق أيضاً أن تهب على وجه أبيه وأمه وأسرته نسائمُ الشعور بالمسؤولية تجاهه، فالله عز وجل خلق ورزق وعلَّم، والأسرة مسؤولة عن هذا الخلق والرزق والتعليم، ماذا كان موقفها وتقديرها وتدبيرها لهذه المسؤولية؟

وقد تحب الأسرة اليوم أن تعرف شيئاً عن رعاية الأسرة المسلمة للأبناء في الماضي، لتستهدي بها وتسترشد في واقعها المعاصر، هذا شيء، والشيء الآخر هو أنَّ الناظر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يجد فيهما الكثير الطيب من العناية بتربية الأبناء، وتنشئتهم النشأة الصالحة، التي تجعل منهم قادة للمستقبل، ينتظر خيرهم، ويرجى نفعهم. وقد تناول العلماء هذه العناية وأفاضوا في بيانها وتقديمها للأمة، ورأينا كتباً نافعة جيدة مطولة ومختصرة أولت هذه العناية اهتمامها، واستهدفت الحديث عنها.

وهذا الجانب يمكن أن نطلق عليه «التأصيل».

وبقي جانب آخر مهم كذلك هو الجواب على السؤال الآتي: كيف تلقت الأسرة المسلمة هذه العناية الإسلامية، وماذا فعلت لتحقيقها على أرض الواقع، وبعبارة أخرى: كيف انتقلت بـ«التأصيل» إلى «الفعل والتفعيل»؟.

من هنا كان هذا الكتاب الذي يفتح النوافذ، ويحاول الإطلالة على ذلك الماضي الجميل بمنظار تاريخي.

ويقوم على تمهيد فيه إشارةٌ موجزة إلى المنطلقات الأساسية في هذه الرعاية، ثم الملحظ الزمني فيها، ثم مفهوم الأسرة: الضيق والواسع، القريب والبعيد.

وبعده عرض صور مشرقة جذابة من هذه الرعاية تهيىء القارىء لما بعدها وتشوقه.

ثم تأتي عَمَدُ الكتاب وهي اثنان وعشرون عموداً، كل واحد منها ركن ركين في الرعاية الأسرية التي أثمرت أطيب الثمار، وتركت أجمل الآثار.

وغنيٌ عن البيان أن هذه العمد استنبطت استنباطاً بعد حرثٍ ليس

بالقصير في مصادر التاريخ الإسـلامي، وقد يكشف التتبع عمداً أخرى، وحسبنا الآن هذه الصفحات التي تؤسس لذلك وتُعِدُّ له.

وطريقتـي أن أضع للمعنـى الذي اسـتنبطته من الواقعـة أو الوقائع عنوانـاً، ثم أورد ما ينـدرج تحته من فرع أو فروع، مع الأمثلة والشـواهد التطبيقية، مرتبةً حسب وفيات أصحابها، وقد تقل هذه الأمثلة والشواهد وقد تكثر على حسـب ما تم وضع اليد عليه، وقد لا أتوسـع في ذكرها هنا لتكون مجالاً لبحث أو تأليف مستقل.

وحين سرد الأمثلة والشواهد فإننا قد لا نحتاج إلى تعليق كثير، لأنها ناطقة بنفسـها، منادية بإيحائها، واضحة من بابها، ومع ذلك فإني حاولت ألا تفلـت منـي الفرصة كلما سـنحتْ، وعلَّقت ما قدرته مفيداً مشـبعاً لما سردته.

وكثـير مما ذكر هنا يصلح أن يكون حكاية أو قصة تُروى على الأبناء، وفي المجالس، ويمكن أن ينطلق منها أعمال أدبية متنوعة.

وكل ذلـك موثـق توثيقـاً دقيقاً، ليعـود القارىء إن شـاء الله إلى هذه المصادر مرة أخرى فيقرأها ويسـتفيد منها ويسـتخرج ما يفتح الله به عليه ويلهمه إياه.

أما العمد فهي هذه، ولك أن تسميها فصولاً:

- الصلاح الذاتي.
- استحضار حقوقهم في الذهن والاهتمام بذلك.
- الدعاء والتماس الدعاء لهم.
- عرضهم على الصالحين.
- إطابة مطعهم.
- تربيتهم وتوجيههم إلى العلم، والعمل به نصحاً وتطبيقاً.
- إحضارهم مجالس العلم وهم صغار.
- مباشرة تعليمهم بالنفس.
- تفخيم أمر العلم في قلوبهم وعقولهم ونفوسهم.
- النفقة عليهم في تعلُّم العلم النافع.
- متابعتهم في أمورهم الكبيرة والصغيرة.
- تعليمهم أدب الكلام.
- العمل على تكوين شخصيتهم الاجتماعية.
- ربطهم بالله سبحانه وتعالى.
- إعانتهم على سبل الخير.
- تلبية متطلبات الفطرة والغريزة.

- بِرُّهم ورعاية مشاعرهم.

- تعليمهم اختيار الأصدقاء.

- تضافر جهود الأسرة والأقارب على هذه الرعاية.

- الكتابة والتأليف لهم.

- عدم إدخال الغم عليهم.

- عناية العلماء والرؤساء بأبناء المسلمين.

ثم أذكر صوراً سلبية، أحذر فيها من إضاعة الأبناء وطمس نبوغهم والغفلة عن مواهبهم. وهي - مع أنها صور سلبية - تؤكد ما سبق من وجهة أخرى.

ثم تأتي النتائج، تلخيصاً لما سبق وتذكرةً به.

ثم «نداء إلى الآباء والأمهات» يضعهم أمام المطلوب وجهاً لوجه.

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجعله لبنة في بناء أبنائنا أمل الغد، وقادة المستقبل، والصبح القادم.

عبد الحكيم الأنيس

تمهيد

- المنطلقات الأساسية:

إن المنطلقات الأساسية في هذه الرعاية آيات كريمة، وأحاديث عظيمة، وكانت آية واحدة وحديث واحد كفيلين بإحداث ثورة في فكر الأمة وسلوكها، وقد يصعب - حقاً - تخيل الأثر الشامل الذي أحدثه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[1]، هذه الوقاية التي تتجسد في قول علي بن أبي طالب أحد مفسري القرآن العظام: «علِّموهم وأدبوهم»[2]، وهما كلمتان تمتدان على أفقٍ واسع من الأفكار والمفاهيم والسلوك ....

وقد يصعب كذلك - حقاً - تصورُ الأثر الكبير الذي أحدثه قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يسترعي الله تبارك وتعالى عبداً رعية قلَّت أو كثرت إلا سأله الله تبارك وتعالى عنها يوم القيامة، أقام فيهم أمر الله أم أضاعه، حتى يسأله عن أهل بيته خاصة»[3].

---

(١) من سورة التحريم، الآية:٦.

(٢) زاد المسير(٨/ ٣١٢).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده(٨/ ٢٦٠-٢٦١) برقم(٤٦٣٧)، وابن أبي الدنيا في كتابه العيال(١/ ٤٩٧) برقم(٣٢٥)، وهو حديث صحيح، كما في حاشية المسند.

- **الملحظ الزمني:**

تقـوم هـذه الرعاية على فلسـفة التربية الإسـلامية التي جعلت سـن البلـوغ هـو الفيصل بين الطفولة وما بعدها، وعنـد البلوغ يبدأ التكليف، وعلى الأسرة أن تعد الطفل لسن التكليف إعداداً تاماً، حتى إذا بلغها كان عارفاً بما يراد منه وما يطلب، وما ينهى عنه وما يذم[1]، ولكن هذه الرعاية لا تتوقف عند ذلك، بل نراها مستمرة ما استمرت الحياة بالوالدين، ومن كان في مقامهما مكانةً ومسؤولية.

- **مفهوم الأسرة:**

قـال الزبيدي: «الأسرة من الرجل: الرهط الأدنون، وعشـيرته، لأنه يتقوى بهم، كما قال الجوهري.

وقال أبو جعفر النحاس: الأُسرة - بالضم-: أقارب الرجل من قبل أبيه»[2].

وجـاء في المعجم الوسـيط: «الأسرة: الدرع الحصينـة، وأهل الرجل وعشيرته، والجماعة يربطها أمر مشترك، والجمع: أسر»[3].

وإذا لُوحـظ معنـى التقـوِّي في إطلاق اسـم الأسرة، والارتباط بأمر

---

(١) انظر: حقوق الطفل في القرآن(ص:٣٧-٣٩).
(٢) تاج العروس(٦/ ٢٣)، وانظر مقاييس اللغة(١/ ١٠٧)، ولسان العرب(٤/ ٢٠).
(٣) المعجم الوسيط(ص:١٧).

مشـترك، فإننا نسـتطيع أن نوسـع هذا المفهوم في باب الرعاية ليشمل كلَّ مَـنْ يتقوى الأبناءُ بتربيتهم ونصحهم وإرشـادهم، والارتباطِ معهم بأمرٍ مشترك.

لذلك فإن مفهوم الأسرة هنا مفهوم شـامل يتسـع لقرابة الدم الدنيا، ثم يتمدد ليضم القرابة الوسـطى والبُعدى، ثـم يفرش جناحيه ليحتضن الأمـة كلهـا باعتبارهـا أسرة واحـدة ينتمـي أفرادها كلهـم إلى أب واحد وأم واحـدة، ويجعلهـا - على هـذا - مكلفة بحظها من رعايـة أبناء الأمة أجمعين.

ومـع ذلـك فـإن معظـم الـكلام كان عـلى الأسرة بمعناهـا الرحمـي القريب.

صور مشرقة من هذه الرعاية

لقد أدت هذه الرعاية إلى ظهور نَبَغَةٍ في العلم وهم صغار السن، ومن هؤلاء:

- محمد بن إسماعيل البخاري(ت:٢٥٦هـ):

قال أبوبكر بن أبي عياش الأعين: كتبنا - أي الحديث أو بعض الفوائد الحديثية - عن محمد بن إسماعيل وهو أمرد على باب محمد بن يوسف الفريابي.

قال ابن حجر: «كان موت الفريابي سنة اثنتي عشرة ومئتين، وكان سن البخاري إذ ذاك نحواً من ثمانية عشر عاماً، أو دونها»[١].

- ابن الإمام إبراهيم الحربي(ت الإمام سنة :٢٨٥هـ):

ذكر في ترجمة الإمام أنه توفي له ولد، كان له إحدى عشرة سنة، وقد حفظ القرآن، ولقنه أبوه من الفقه شيئاً كثيراً[٢].

- أبو حامد الأسفرايني(ت: ٤٠٦):

أفتى وهو ابن سبع عشرة سنة[٣].

---

(١) هدي الساري(ص:٤٧٨).
(٢) تاريخ بغداد(٦/ ٣٧).
(٣) المجموع(١/ ٥٧٤) «مسائل تتعلق بمسح الجرموقين».

- أبو طاهر السلفي(ت:٥٧٦هـ):

كتبوا عنه وهو ابن سبع عشرة سنة[١].

- ابن الإمام تاج الدين السبكي(توفي التاج سنة:٧٧١هـ):

قال ابن العماد في حوادث سنة ٧٧٢هـ: «في محرمها درّس بدمشق بالمدرسة الأمينية تقي الدين علي بن تاج الدين السبكي، وهو ابن سبع سنين، وهذا من العجائب»[٢].

وقال في وفيات سنة ٧٧٦هـ: «توفي علي بن عبد الوهاب بن علي السبكي.

وَلِيَ خطابة الجامع الأموي بعد أبيه[٣] وله عشر سنين، ودرّس في حياة أبيه بالأمينية وعمره سبع سنين»[٤].

- محمد ابن الإمام أحمد ابن الهائم المصري المقدسي(توفي الإمام سنة ٨١٥هـ):

رآه محدث حلب برهان الدين سبط ابن العجمي وعمره خمس أو ست سنوات وهو يريد أن يعرض كتاب «عمدة الأحكام» للمقدسي على البلقيني - أي يقرأه من حفظه، وهو كتاب فيه(٤٢٠) حديثاً -.

---

(١) سير أعلام النبلاء(٢١/ ٧).
(٢) شذرات الذهب(٨/ ٣٨٢).
(٣) أي بعد وفاة أبيه بسنوات.
(٤) شذرات الذهب(٨/ ٤١٨).

ولما كان عمره سبع سنوات كان يُسأل عن الآية فيجيب بما قبلها، وما قبل قبلها، وهلم جرّاً، لشدة حفظه. وقرَّظ[1] لابن حجر العسقلاني كتاباً، وعمره حين توفي سنة (٧٩٨هـ): «١٨» سنة[2]!

- أحمد ابن الحافظ شمس الدين السخاوي (توفي الحافظ ٩٠٢هـ):

أحضره أبوه وله من العمر سنة واحدة على العلماء، وأسمعه الكثير من الكتب الكبيرة والصغيرة، وقد أتى على معظم القرآن، وكتب عن أبيه بعض الأمالي[3]، وقابل معه كثيراً[4]، وأصيب به سنة ٨٦٤، وله تسع سنوات[5].

- حسين بن عمر العرضي الحلبي الشافعي (ت:١٠٠٥هـ):

«قرأ على والده في مقدمات العلوم، من النحو والمنطق والفقه والبلاغة، وارتقى إلى المَلَكَةِ الكاملة في زمن يسير، وآخر ما كان يقرأ على والده شرح الشمسية في المنطق...وكان مع صغره يقرىء الطلبة دروساً،

---

(١) أي قدّم بمصطلح اليوم.

(٢) انظر: المجمع المؤسس للمعجم المفهرس(٣/ ٢٥٩-٢٦٠).

(٣) أي الدروس التي تلقى إلقاءً.

(٤) أي ساعد والده بمراجعة ما يكتب، وذلك بعرض المنقول على ما نقل منه للتأكد من عدم سقوط شيء منه، أو وقوع خطأ فيه.

(٥) انظر: الضوء اللامع(٢/ ١٢٠-١٢١).

وكان مع كونه أمرد، حسن الشكل ، يصلي إماماً بالجامع الكبير ...»[1].

- محمد خليل المرادي الدمشقي(١١٧٣-١٢٠٦هـ):

ولي فتيا الحنفية وعمره (١٩) سنة[2].

إن هـذه النماذج - وثَـمَّ غيرها الكثير- تبين مـدى العناية الفائقة من الأسرة بهؤلاء الأبناء، بحيث وصلوا إلى ما وصلوا إليه وهم في هذه السن المبكـرة، مع ما آتاهم الله من الذكاء والاسـتعداد، ولعـل هذا الذكاء كان يضيع لولا اهتمام الأسرة ومتابعتها وسعيها الجاد في تفتيحه واستغلاله.

إننا بحاجة حقيقية إلى أن نتعلم هذا الدرس، ونطبقه على أبنائنا، وأن نهتـم بهم وبتعليمهم الاهتمام الكافي، وأن نشركهم معنا في أعمالنا العلمية واهتماماتنا الثقافية، - كما فعل السخاوي - فإن ذلك يساعد كثيراً في نمو قدراتهم، وكثرة معلوماتهم، واستيقاظ وعيهم.

---

(١) معادن الذهب(ص:٣٢٩).
(٢) انظر: الأعلام(٦/ ١١٨).

عَمَدُ الرعايةِ
عند الأسرة المسلمة

الصلاح الذاتي

إن الصلاح الذاتي والإقبال على الله شديد الحضور في أذهان الأسرة المسلمة، وذلك رجاء التقرب منه، ورجاء نظرة رحمة ربانية تسعد الآباء والأبناء على السواء.

إن قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾[1] كان يجلجل في الأذهان، وخرج بصور جميلة إلى العيان، وظهر أثره واضحاً جلياً:

- فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان معاذ بن عفراء - وهو صحابي جليل - لا يدع شيئاً إلا تصدق به، فلما ولد له استشفعت إليه امرأته بأخواله فكلموه وقالوا له: إنك قد أَعَلْتَ[2]، فلو جمعت لولدك. قال: أبت نفسي إلا أن أستتر بكل شيء أجده من النار.

فلما مات ترك أرضاً إلى جنب أرض لرجل - وكانت لا تساوي كثيراً بحيث قال راوي الخبر عبد الرحمن بن أبي ليلى وكان عليه ملاءة صفراء ما تساوي ثلاثة دراهم: ما تسرني الأرض بملاءتي هذه!- فامتنع ولي الصبيان - أي صبيان معاذ بن عفراء - من بيعها، فاحتاج إليها جار الأرض فاشتراها بثلاث مئة ألف[3].

---

(١) من سورة الكهف، الآية:٨٢.

(٢) أي صرت صاحب عيال.

(٣) صفة الصفوة (١/ ٤٧٢-٤٧٣).

وقد توفي معاذ بعد مقتل عثمان بن عفان[1].

وهكذا نظر الله إلى نيته، وحفظ أولاده بعد موته، ووسع رزقهم.

- ومن ذلك ما جاء عن الإمام سعيد بن جبير (٤٥-٩٥هـ):

قال هشام بن حسان: قال سعيد بن جبير: إني لأزيد في صلاتي من أجل ابني هذا. قال هشام: رجاء أَنْ يحفظ فيه[2].

- وقال التابعي الجليل مجاهد بن جبر تلميذ ابن عباس (ت:١٠٢هـ):

«إن الله عز وجل ليصلح بصلاح العبد ولده، وولد ولده»[3].

- وذكر ابن الآبّار في ترجمة الإمام علي بن محمد بن علي البلنسي الأصيلي (ت:٥٦٤هـ).

أنه «كان يتصدق على الأرامل واليتامى بما له من دقيق وأدم وغير ذلك، فقالت زوجته: إنك لتسعى بهذا العمل في فقر أبنائك، فقال لها: لا والله بل أنا شيخ طمّاع أسعى في غناهم»[4].

هذه صور جميلةٌ- والبحث يكشف المزيد - فيها تطبيقٌ عملي لقوله تعالى: ﴿**وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا**﴾[5] فنتعلم منها أن نزداد صلاحاً لنسعد،

(١) صفة الصفوة (١/ ٤٧٤).
(٢) حلية الأولياء(٤/ ٢٧٩)، وتهذيب الكمال(١٠/ ٣٦٦).
(٣) صفة الصفوة (٢/ ٢٠٨).
(٤) التكملة لكتاب الصلة(٣/ ٢٠٣).
(٥) من سورة الكهف، الآية:٨٢.

ونُسعد أبناءنا وذريتنا، والله عز وجل لا يضيع أجر مَنْ أحسن عملاً.

إن صلاح الآباء يعود بالخير العميم على الأبناء، وهذه الآية شاهد واضح على ما نقول.

- **ويقول الرجل الصالح محمد بن المنكدر المدني(ت:١٣٠هـ):**

«إن الله تعالى يحفظ المؤمن في ولده وولد ولده، ويحفظه في دويرته وفي دويرات حوله، فما يزالون في حفظٍ وعافيةٍ ما كان بين أظهرهم»[١].

فأثر الصلاح متعد، وكذلك أثر المعصية:

- **يقول الإمام الفضيل بن عياض (ت:١٨٧هـ):** «إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خُلُق حماري وخادمي»[٢].

وحين يصلح الأب والأم نفسيهما يتعلم أبناؤهما منهما:

- **يقول أبو هاشم الزاهد - وهو من قدماء زهاد بغداد -:** «أخذُ المرءِ نفسَه بحسن الأدب تأديب أهله»[٣].

- **ويقول الفضيل بن عياض:** رأى مالك بن دينار رجلاً يسيء صلاته فقال: ما أرحمني لعيالـه؟ فقيل له: يسيء صلاته وترحم عياله؟ فقال: إنه كبيرهم ومنه يتعلمون[٤].

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ١٤٢).
(٢) صفة الصفوة (٢/ ٢٣٨).
(٣) صفة الصفوة (٢/ ٢٠٦).
(٤) صفة الصفوة (٣/ ٢٨٧).

- ومـن فوائد الصـلاح الذاتي الذي عاد خيره عـلى الأبناء هذا الخبر العجيب الذي وقع **للتابعـي الجليل ربعي بن حراش الكوفي(ت:١٠١أو بعدها)**.

فقد جاء عنه أنه لم يكذب قط، وكان له ابنان عاصيان على الحجاج بن يوسـف الثقفي، فقيل للحجاج: إن أباهما لم يكذب كذبة قط، لو أرسلت إليه فسألته عنهما.

[فأرسل إليه فسأله] قال: أين أبناك؟

قال: هما في البيت!

فقال الحجاج: قد عفونا عنهما بصدقك[1].

- ومـن فوائد الصلاح كذلك حسـن العلاقة بين الأب وأبنائه، **فعن مقاتل بن محمد بن بنان العتكي قال**: حضرت مع أبي وأخي عند أبي إسحاق - يعنـي إبراهيم الحـربي الإمام البغدادي الجليل المتوفى سـنة(٢٨٥هـ) - فقال إبراهيم لأبي: هؤلاء أولادك؟

قـال: نعـم. قـال: احـذر لا يرونـك حيـث نهـاك الله فتسـقط مـن أعينهم[2].

فالاسـتقامة تجعـل الوالـد في أعين أبنائه كبـيراً مهيباً، محترمـاً محبوباً، وبذلك تكون العلاقة على أحسن ما يكون.

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ٣٦).

(٢) صفة الصفوة (٢/ ٤٠٩).

استحضار حقوقهم في الذهن والاهتمام بذلك

إن هاجس العناية بالأبناء كان يلازم الوالدين، وأضرب على ذلك مثالاً بالصحابي قيس بن عاصم:

ذكر ابن الجوزي أن الصلصال بن الدلهمس قدم مع بني تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أوصاهم بشيء، فقال قيس بن عاصم: **وددت لو كان هذا الكلام شعراً نعلِّمه أولادنا**. فقال الصلصال: أنا أنظمه يا رسول الله، فأنشده أبياتاً.

والأبيات هي كما جاء في أمالي ابن دريد:

تجنبْ خليطاً من مقالك إنما

قرين الفتى في القبر ما كان يفعلُ

ولا بُدَّ بعد الموت من أن تعده

ليوم ينادى المرء فيه فيقبلُ

وإنْ كنت مشغولاً بشيء فلا تكن

بغير الذي يرضى به الله تشغلُ

ولن يصحبَ الإنسانَ من قبل موته

ومن بعده إلا الذي كان يعملُ

ألا إنمـا الإنســان ضيـفٌ لأهلــه

يقيم قليـلاً بينهـم ثم يـرحــلُ[1]

وكان لقيس بن عاصم - كما يقول ابن حبان - : ثلاثة وثلاثون ولداً، وقد توفي نحو سنة عشرين للهجرة[2].

إن قـول قيس - رضي الله عنه - : «وددت لو كان هذا الكلام شـعراً نعلِّمـه أولادنـا» يحمـل في طياتـه درسـاً بليغـاً لـلأسرة التي تعقـل معنى وجودها، وتدرك أبعاد مسؤوليتها.

إن أولادنا أمانة كبرى في أعناقنا ويجب أن نستشـعر ثقل هذه الأمانة دائـماً، ولا سـيما حين يكون هنـاك شيء نافع يمكن أن يفيـد منه أبناؤنا في حياتهم.

(١) انظر: الإصابة(٢/ ١٩٣).
(٢) انظر: الإصابة(٣/ ٢٥٣).

الدعاء والتماس الدعاء لهم

كان التوجه إلى الله بالدعاء للأبناء سمة بارزة في رعاية الأسرة المسلمة وقت الحمل، وبعد الولادة، وحين النشأة، ويستمر مدى الحياة، وقبل أن أذكر الشواهد على ذلك أقول: إن الدعاء للأبناء كان يتم حتى قبل الحمل بهم:

- قال السخاوي في ترجمة الإمام الكبير شمس الدين محمد ابن الجزري(ت:٨٣٣هـ).

«كان أبوه تاجراً فمكث أربعين سنة لا يولد له، ثم حج فشرب ماء زمزم بنية ولد عالم»[١].

واستجاب الله له، ورزقه هذا الإمام الكبير.

- وقال الشيخ عبد القادر العيدروس في ترجمة السيد الشريف البارع في العلم والعمل والجود الشيخ الحسين بن عبد الله العيدروس(٨٦١-٩١٧هـ):

«رُوي عن الشيخ عبد الله العيدروس أنه كان يقول: كنت كثير الدعاء في سجودي أن يرزقني الله ولداً عالماً سنياً. وأرجو أن يكون هو الحسين»[٢].

---

(١) الضوء اللامع(٩/ ٢٥٥).
(٢) النور السافر(ص:١٤٠).

الدعاء وقت الحمل:

- وممـن حظي بذلك الإمام الجليـل العابد الزاهد أحد أئمة الدنيا أبو الوليد حسان بن محمد النيسابوري (ت:٣٤٩هـ).

قال الحاكم عنه: كان إمام أهل الحديث بخراسان، وأزهد مَنْ رأيت من العلماء، وأعبدهم، وأكثرهم تقشفاً، ولزوماً لمدرسته وبيته، وله كتاب «المستخرج على صحيح مسلم».

وقـال: وسـمعته في مرضـه الذي مات فيـه يقول: قالـت لي والدتي: كنت حاملاً بك، وكان للعباس بن حمزة مجلس، فاستأذنت أباك أن أحضر مجلسـه، في أيام العشر، فأذن لي، فلـما كان في آخر المجلس قال العباس بن حمـزة: قوموا، فقامـوا، وقمت منهم، فأخذ العبـاس يدعو، فقلت: اللهم هـب لي ابنـاً عالماً، فرجعـت إلى المنزل، فبت تلك الليلـة، فرأيت فيما يرى النائـم كأن رجـلاً أتاني، فقـال: أبشري، فـإن الله قد اسـتجاب دعوتك، ووهب لك ولداً ذكراً، وجعله عالماً، ويعيش كما عاش أبوك.

قالت: وكان أبي عاش اثنتين وسبعين سنة.

قال الأستاذ أبو الوليد: وهذه قد تمَّت لي اثنتان وسبعون سنة.

قال الحاكم: فعاش الأستاذ بعد الحكاية أربعة أيام[1].

(١) طبقات الشافعية الكبرى(٣/ ٢٢٦-٢٢٧).

الدعاء بُعيد الولادة:

وقد حظي بذلك إبراهيم بن أدهم(ت:١٦٢هـ).

قال الفضل بن موسى: حج أدهم بأم إبراهيم وهي حبلى، فولدت له إبراهيم بن أدهم بمكة، فجعلت تطوف على الحِلق في المسجد وتقول: ادعوا لابني أن يجعله الله عبداً صالحاً[١].

وقال إبراهيم بن شماس: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول:

كان أدهم رجلاً صالحاً، فولد إبراهيم بمكة، فرفعه في خرقة، وجعل يتتبع أولئك العُبَّاد والزهاد ويقول: ادعوا الله له. فيرى أنه قد استجيب لبعضهم فيه[٢].

ومن مجموع الخبرين نستنتج أن الأب والأم حملاه معاً، وطافا به على الصالحين في مكة.

وقد ادخر الله تلك الدعوات لإبراهيم إلى أن جاء إبانها وحينها، ومع أنه نشأ في طريق آخر إلا أن الدعوات أدركته ورجعت به إلى مولاه، وحديثه معروف، في بدء توبته وتوجهه حتى صار إلى ما صار إليه.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق(٦/ ٢٨٣)، وتاريخ الإسلام(١٠/ ٤٤-٤٥)، والوافي بالوفيات(١/ ٥٩)، و(٥/ ٢٠٩-٢١٠)..

(٢) حلية الأولياء(٧/ ٣٧١).

- وقال القاضي عياض في ترجمة الإمام أبي بكر محمد بن وسيم الطليطلي(ت:٣٥٢):

«كان أعمى، وكان بصيراً بالحديث، حافظاً للفقه، ذا حظ من علم اللغة والنحو والشعر والتفسير والفرائض والحساب والعبارة، شاعراً ذكياً، وكانوا يرون ما فيه من الذكاء ببركة دعاء أبيه، وكان صالحاً.

وقيل: لما عمي بعد مولده بيسير جمع أبوه أهل الصلاح والزهد، وصلوا الليل كله، فلما أصبح أحضر هذا المولود، ودعوا أن يجعل الله نور بصره في قلبه، فأجيبت دعوتهم»[1].

وأظن أن كل قارىء يقرأ هذا الخبر يستشعر الحزن الذي نزل بقلب وسيم والد محمد، ولكنه لم يقف مع الحزن، وعرف الطريق الصحيح إلى نفع ابنه الذي قدّر الله عليه فقد البصر، فكان منه ما كان، ونعم ما فعل.

- وجاء في ترجمة الإمام الكبير ابن دقيق العيد(٦٢٥-٧٠٢هـ) هذا الخبر الطريف، وهو أن والده كان «متوجهاً من «قوص» إلى «مكة» للحج في البحر، فولد بقرب مدينة «ينبع» من أرض الحجاز، وطاف به والده على يديه، ودعا له بالعلم والعمل. فكان يقول: استجيب لي»[2].

---

(١) ترتيب المدارك(٦/ ١٧٥)، وانظر ترجمة والده في (٥/ ٢٢٩).ط المغرب.
(٢) العقد المذهب (ص:١٧٥).

ومن يقرأ سيرة الإمام ابن دقيق العيد، ويطلع على مكانته السامية في العلم والعمل يوقن باستجابة ذلك الدعاء.

الدعاء حين النشأة:

- جاء في ترجمة الإمام النحوي اللغوي يعقوب بن إسحاق السكيت صاحب كتاب «إصلاح المنطق» (ت:٢٤٣هـ أو بعدها):

«كان يعقوب يؤدب مع أبيه بمدينة السلام في درب القنطرة صبيان العامة، حتى احتاج إلى الكسب، فجعل يتعلم النحو.

وحكي عن أبيه أنه حج، فطاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، وسأل الله تعالى أن يعلِّم ولده النحو، فتعلم النحو واللغة»[١].

- وروى غنجار في «تاريخ بخارى» واللالكائي في «شرح السنة» في باب كرامات الأولياء أن محمد بن إسماعيل [البخاري] ذهبتْ عيناه في صغره، فرأت والدته الخليل إبراهيم في المنام، فقال لها: يا هذه، قد ردَّ الله على ابنك بصره بكثرة دعائك.

قال: فأصبح، وقد ردَّ الله عليه بصره[٢].

---

(١) إنباه الرواة (٤/ ٥٧).
(٢) هدي الساري (ص:٤٧٨).

- وفي تعليم المتعلم: كان أحمد بن نصر بن صالح والد الشيخ الأجل شمس الأئمة الحلواني فقيراً يبيع الحلواء، وكان يعطي الفقهاء من الحلواء ويقول: ادعوا لابني. فببركة جوده واعتقاده وشفقته وتضرعه لله نال ابنه ما نال[1].

والحلـواني أصبح إمام أهل الرأي في وقته، له من الكتب: المبسـوط، والنوادر، وذكره النخشـبي في «معجم شـيوخه» فقال: شـيخ عالم بأنواع العلوم، معظِّم للحديث وأهله، وقد توفي سنة(٤٤٨هـ)[2].

- وجاء في ترجمة الإمام زين الدين ابن نُجية الأنصاري(ت:٥٩٩هـ) أنه سـعد بدعاء والدته[3]. وإذا أردت أن تعـرف ما وراء هذا القول فاقرأ سيرة حياته، وكان صلاح الدين الأيوبي يسميه عمرو بن العاص، ويعمل برأيه، وكان يحضر مجلسه هو وأولاده، وكان له جاه عظيم، وحرمة زائدة. ولمـا فتح صلاح الدين القدس كان معه، وتكلم أول جمعة أقيمت فيه على كرسي الوعظ، وكان يوماً مشهوداً.

- وقـال السـخاوي في ترجمـة أحمـد بـن عـلي بـن مفلـح، الشـهاب الزَّبيدي(ت:٨٦٠هـ):

---

(١) الفوائد البهية (ص:٩٥-٩٧).
(٢)المصدر السابق.
(٣) الذيل على طبقات الحنابلة (١/ ٤٤٠).

«كان رجلاً صالحاً عابداً زاهداً، ملازماً لبيته لا يخرج منه إلا للجمعة، ويتقوت هو وعياله من نسخ المصاحف، وللناس فيه اعتقاد زائد سيما في آخر عمره بحيث اشتهر ذكره وبعد صيته. وكان يحكي أن والده سأل إسماعيل الجبرتي في الدعاء له وهو طفل، فلما رآه قال: «هذا وارث ولآخرته حارث». سمعه من صاحب الترجمة الكمال موسى الدوالي، وقال: إنه كان كما تفرس فيه الشيخ، فإنه كانت أمارات الخير والفلاح عليه من صغره ظاهرة، ولم يزل على طريقته المرضية صلاحاً وزهداً وورعاً ومحاسن حتى مات ...»[1].

- وسيأتي معنا في «النفقة عليهم في تعلم العلم النافع» خبر دعاء أم الشيخ محمود الأنطاكي له.

- وجاء في ترجمة العلامة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود (١٣٢٩ - ١٤١٧هـ) شيخ قطر وقاضيها وعالمها:

«ولد الشيخ في حوطة بني تميم جنوب نجد ... وقد نشأ في كنف أمه الصالحة، حيث مات أبوه ولما يزل صغيراً، فرعته وحاطته بعنايتها، ورأت أن أعظم أسباب الفلاح اتصالُ وليدها بالعلم فأكثرت من الدعاء الضارع أن يرزق الله تبارك وتعالى ابنها العلم النافع، والعمل الصالح،

(١) الضوء اللامع (٢/ ١٤٦).

والمال المبارك الوفير، والذرية الصالحة، فنشأ الشيخ محفوظاً بهذا الدعاء الذي رأى أثر استجابته لائحاً في عمره من بعدُ»[1].

إن هذه الأخبار تعلمنا أن نحسن ربط أبنائنا بربهم، فنكثر من الدعاء لهم في أحوالهم وأطوارهم كلها.

إن دعوة الأب أو الأم للأبناء وهي تنطلق من قلب شفيق وذهن حاضر، وإقبال شديد وتوجه خاشع، تخترق السبع الطباق، وتفتح لهم الأبواب الموصدة، وتمهد لهم الطرق الشائكة، وتحفظهم في سائر منعطفات حياتهم.

فلندع لأبنائنا ولا سيما إذا أكرمنا الله فقمنا في السحر وتفقدناهم وهم يغطون في نومهم، فلنرفع أيدينا إلى السماء ونقول: يا رب أبناءنا[2].

---

(١) ترجمة الشيخ في صدر مجموعة رسائله(١/ ٩).

(٢) وقد نجد غير هذا، كما جاء عن الزاهد محمد بن مسلم القنطري(ت:٢٦٠هـ) أنه كان له ابن أخت حَدَثٌ، فرآه يلعب بالطيور، فدعا الله أن يميته، فما أمسى يومه ذلك إلا ميتاً! كما في صفة الصفوة(٢/ ٣٩١)

وكما جاء عن ابن نجية الأنصاري(ت:٥٩٩هـ) أنه دعا على ابنه فمات، والخبر في ترجمته في الذيل على طبقات الحنابلة!

وظاهر الخبرين مخالف للسُنَّة.

عرضهم على الصالحين

كان من عادة الأسرة المسلمة عرض الأبناء على الصالحين التماساً لدعواتهم، وطلباً لنصحهم وإرشادهم وتوجيههم، وربطاً لهم بهم:

- قال الإمام إبراهيم الحربي(ت:٢٨٥هـ):

حملني أبي إلى بشر بن الحارث [الحافي] فقال: يا أبا نصر ابني هذا مشتهر بكتابة الحديث والعلم. فقال لي: يا بني، هذا العلم ينبغي أن يُعمل به، فإن لم يعمل به كله فمن كل مئتين خمسة، مثل زكاة الدراهم. وقال له أبي: أبا نصر تدعو له؟ فقال: دعاؤك له أبلغ، دعاء الوالد لولده كدعاء النبي لأمته. قال إبراهيم: فاستحليت كلامه فاستحسنته...[1]

- وممن جرى له في ذلك خبرٌ معجبٌ الشيخُ الكبير المسند حنبل بن عبد الله بن فرج البغدادي(٥١٠-٦٠٤هـ) راوي مسند الإمام أحمد بن حنبل كله.

يقول حنبل: لما وُلدت مضى أبي إلى الشيخ عبد القادر الجيلي، وقال له: قد ولد لي ابن ما أسميه؟ قال: سمِّه حنبل، وإذا كَبِرَ سمِّعْهُ «مسند» أحمد بن حنبل.

قال: فسماني كما أمره، فلما كبرت سمَّعني «المسند» وكان هذا من بركة

(١) حلية الأولياء(٨/ ٣٤٧-٣٤٨).

مشورة الشيخ.

قال ابن الأنماطي: سمعت منه جميع المسند ببغداد، أكثره بقراءتي عليه في نيِّف وعشرين مجلساً. ولما فرغت أخذت أرغِّبه في السفر إلى الشام، فقلت: يحصل لك مال، ويقبل عليك وجوه الناس ورؤساهم. فقال: دعني، فو الله ما أسافر لأجلهم، ولا لما يحصل منهم، وإنما أسافر خدمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أروي أحاديثه في بلد لا تروى فيه.

قال ابن الأنماطي: اجتمع له جماعة لا نعلمها اجتمعت في مجلس سماع قبل هذا بدمشق، بل لم يجتمع مثلها لأحدٍ ممن روى المسند.

قال الذهبي: أسمعه مرةً بالبلد، ومرة بالجامع المظفري[1].

- **وممن عُرِضَ على الصالحين الفقيه العالم العارف الشيخ محمد بن عمر بن أحمد بن حشيبر (ت: ٧١٨هـ).**

فقد ذهب به والده إلى الشيخ أبي الغيث بن جميل[2].

- **وكان الشيخ أحمد الزاهد (ت: ٨٢٠هـ)** ممن يُعرض عليه الأطفال، وكان يدعو لهم دعوة غريبة نابعة من حاله هو:

قال المناوي في ترجمته: «وكان إذا أتاه رجل بولده الطفل قال: اللهم

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٣١).
(٢) انظر الخبر في النور السافر (ص:٥٩٢).

لا تجعل له كلمة ولا حرمة في هذه الدار»[1] أي لا تجعل له مكانة في الدنيا خشية الاغترار بها! وهذه - كما قلت - دعوة نابعة من حاله هو، وكان من الممكن أن يدعو له أن يحفظه الله من الاغترار بالدنيا إن فُتحت عليه.

- **وعَرَضَ الإمام الشيخ رضي الدين محمد الغزي (٨٦٢-٩٣٥هـ): ابنه بدر الدين محمداً(٩٠٤-٩٨٤هـ)** «على الشيخ العارف بالله أبي الفتح محمد بن محمد بن علي الإسكندري، ثم المزي العوفي الشافعي ... وأجاز له بكل ما يجوز له ، وعنه روايته، وهو دون السنتين»[2].

إن العرض على الصالحين - إذ يحقق الدعاء للأبناء، ويحصل فيه سماع توجيههم وإرشادهم - يحقق كذلك ربطهم بهم، وإقامة علاقة بينهم، وهذا مهم جداً في حياة الأبناء حين يكبرون ويبدأون بفهم أبعاد هذه العلاقة، وتذوق أثرها، ولن يستفيدوا منها وحدهم، بل تستفيد أسرهم ومجتمعهم، وكل مَنْ حولهم.

إن قرة عيون الآباء أن يروا أبناءهم وقد نشأوا صالحين بارِّين موفقين إلى الخيرات.

وأظن أن في رؤية الوالدين أبناءهما من حولهما وهم يسارعون في خدمتهما وإكرامهما وإدخال السرور على قلبيهما سعادةً ما بعدها سعادة.

---

(١) الكواكب الدرية (٣/ ١٥١).
(٢) الكواكب السائرة (٣/ ٤).

والعكـس بالعكس ففي رؤيـة الأبناء العاقين المزعجـين المتمردين شقاء ما بعده شقاء.

وفي المجتمع صور من أولئك وهؤلاء، والله نسـأل أن يجعلنا بارين مبرورين.

وهذا الملحظ - وهو العرض على الصالحين، واكتسـاب دعواتهم- مهـم جداً في التربية، ولا سـيما إذا امتد العمر بهـؤلاء الصالحين وأدركهم مَنْ عرض عليهم.

إطابة مطعمهم

إن إطابة مطعم الذرية من أهم بنود الرعاية التي ركزت عليها الأسرة المسلمة، وأذكر من هذا بعض الأخبار:

- **كان عمر بن عبد العزيز** يقسم تفاح الفيء، فتناول ابن له صغير تفاحةً، فانتزعها من فيه، فأوجعه، فسعى إلى أمه مستعبراً، فأرسلتْ إلى السوق فاشترت له تفاحاً.

فلما رجع عمر وجد ريح التفاح، فقال: يا فاطمة هل أتيت شيئاً من هذا الفيء؟ قالت: لا. وقصَّتْ عليه القصة، فقال: والله لقد انتزعتها من ابني لكأنما نزعتها من قلبي، ولكن كرهت أن أضيع نصيبي من الله عز وجل بتفاحةٍ من فيء المسلمين[1].

وهو في الوقت نفسه حفظ ابنه من أن يأكل شيئاً فيه شبهة.

وكان عمر ممن حفظ الله أصوله، وفروعه، قال ابن شوذب:

لما أراد عبد العزيز بن مروان أن يتزوج أم عمر بن عبد العزيز قال لقيّمه: اجمع لي أربع مئة دينار من طيب مالي، فإني أريد أتزوج إلى أهل بيتٍ لهم صلاح، فتزوج أم عمر[2].

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ١٢٠).
(٢) صفة الصفوة (٢/ ١١٣).

- وقال ابن حجر عن إسماعيل البخاري والد محمد:

«ذكره ولده في التاريخ الكبير[1] فقال: إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة. سمع من مالك وحماد، وصافح ابن المبارك[2].

وسيأتي بعد قليل قول إسماعيل عند موته أنه لا يعلم في ماله حراماً ولا شبهة.

ومات إسماعيل ومحمد صغير، فنشأ في حجر أمه..»[3].

- وقال الإمام السبكي في ترجمة إمام الحرمين الجويني (ت:٤٧٨هـ):

«اعتنى به والده من صغره، لا بل من قبل مولده، وذلك أن أباه اكتسب من عمل يده مالاً خالصاً من الشبهة اتصل به إلى والدته، فلما ولدته له حرص على أن لا يطعمه ما فيه شبهة، فلم يمازج باطنه إلا الحلال الخالص، حتى يحكى أنه تلجلج مرة في مجلس مناظرة، فقيل له: يا إمام ما هذا الذي لم يعهد منك؟

---

(١) التاريخ الكبير (١/ ٣٤٣).

(٢) إن ذكر المتقدمين لآبائهم يختلف عن طريق المتأخرين، فانظر إلى أسلوب البخاري، واضمم إلى ذلك أسلوب الإمام أحمد بن فارس في معجم «مقاييس اللغة» (١/ ٥).
وهذا الموضوع جدير بالتتبع والبحث والكتابة.

(٣) هدي الساري (ص:٤٧٧).

فقال: ما أراها إلا آثار بقايا المصة.

قيل: وما نبأ هذه المصة؟

قال: إن أمي اشتغلت في طعام تطبخه لأبي، وأنا رضيع، فبكيت وكانت عندنا جارية مرضعة لجيراننا فأرضعتني مصة أو مصتين. ودخل والدي فأنكر ذلك وقال: هذه الجارية ليست ملكاً لنا، وليس لها أن تتصرف في لبنها، وأصحابها لم يأذنوا في ذلك!

وقلبني وفوَّعَني حتى لم يدع في باطني شيئاً إلا أخرجه، وهذه اللجلجة من بقايا تلك الآثار»[1].

- وإذا لم تجد الأسرة المال حضَّت أبناءها على الصبر والرضى والقناعة، وأملتهم خيراً، وجنبتهم النظرات الخاطئة، والمسالك المحرمة:

قال العلامة الشيخ أبوالخير الميداني رئيس رابطة العلماء بدمشق (١٢٩٣-١٣٨٠هـ):

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٥/ ١٦٨-١٦٩)، وفي العقد المذهب في طبقات حملة المذهب (ص١٠٢): «وقيل: إن والده كان في أول أمره ينسخ بالأجرة، وأنه جمع من ذلك ما اشترى به جارية صالحة، ولم يزل يطعمها من كسب يده حتى حملت به...».

وانظر: فيض القدير (٤/ ٥٥).

«درست أولاً بمدرسة الشيخ عيد السفرجلاني بالمدرسة الجقمقية بالكلاسة، وكانت أمي تدخر المال البسيط لكي أتم دراستي، وكانت عادة هذه المدرسة أن يبقى التلميذ من الصباح إلى قبل الغروب، ويتناول التلاميذ طعام الغداء في المدرسة. فكان أولاد الأغنياء يحضر لهم آباؤهم أنواع الأطعمة الفاخرة، فكنت أشتهي تلك المآكل فأرجع إلى أمي مساءً وأخبرها بما يأكله زملائي، فتشفق وتتألم ولا تستطيع أن تقدم لي إلا الخبز، وتقول لي: يا بني ارضَ بما قَسَمَ الله لك، فإن الله سيكرمك ويعوضك خيراً. فامتثلت ورضيت، بعدها كنت أنظر إلى التلاميذ وهم يأكلون أنواع الأطعمة فأتذكر كلام أمي، فإذا اشتهيت نوعاً منها وجدت طعمه في فمي، وأشعر أيضاً بدسومته»[1].

إن حرص الأسرة المسلمة على تغذية الأبناء بالحلال يضمن لها أن ينشؤوا صالحين مصلحين، بارِّين مبرورين، والعكس بالعكس، ولعل كثيراً من ويلات العقوق من آثار الحرام الذي سكن في مفاصل الجسد وطياته.

نسأل الله أن يكرمنا ويكرم أبناءنا بالحلال والتحري عنه، والاستشفاء

(١) الإمام الرباني العلامة الشيخ أبوالخير الميداني بقلم الأستاذ محمد مطيع الحافظ(ص:٦).

به، والانبعاث إلى الطاعات بباعثه ومحرّكه وأثره.

ومن المشهور قول العلماء: مَنْ أكل الحلال أطاع الله شاء أو أبى، ومن أكل الحرام عصى الله شاء أو أبى.

فلتنتبه الأسرة المسلمة إلى هذا الأمر، ولتحرص على إطعام أبنائها الحلال الخالص، بتحرٍ واهتمام. فإن لذلك آثاراً كبيرة فيهم، في حاضرهم ومستقبلهم، وفي علاقتهم بربهم وبوالديهم.

تربيتهم وتوجيههم إلى العلم، والعمل به، نصحاً وتطبيقاً

قال الإمام الكبير المؤرخ الجليل المربي الواعي كمال الدين ابن العديم(ت:٦٦٠هـ): «ينبغي للوالد أن لا يسهو عن تأديب ولده، ويحسّن عنده الحسن، ويقبّح عنده القبيح، ويحثه على المكارم، وعلى تعلم العلم والأدب، ويضربه على ذلك»[1].

ولقد ضربت الأسرة المسلمة في هذا الجانب أروع الأمثال، وحسبنا أن نذكر هذه الإضاءات الدالّة المعبّرة مما ورد في تراجم هؤلاء العلماء:

- **عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي(٨٨-١٥٧هـ):**

هو الإمام الفقيه المجتهد الأديب الكبير.

قال الوليد بن مزيد: ولد ببعلبك، ورُبِّي يتيماً فقيراً في حجر أمه، تعجز الملوك أن تؤدب أولادها أدبه في نفسه.

ما سُمِعَتْ منه كلمةٌ فاضلةٌ إلا احتاجَ مُسْتَمِعُها إلى إثباتها عنه، ولا رأيته ضاحكاً يقهقه، ولقد كان إذا أخذ في ذكر المعاد أقول: ترى في المجلس قلبٌ لم يبك!

---

(١) الدراري في ذكر الذراري (ص:٤٨).

وهـو القائل: خمسـة كان عليهـا الصحابة والتابعون: لـزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، والتلاوة، والجهاد.

والقائل: عليك بآثار مَنْ سلف وإن رفضك الناس[1].

وقـد أطلـت بعض الـشيء بنقل هذه الكلـمات لبيان أثر هـذه التربية العظيمة.

- سفيان بن سعيد الثوري(ت:١٦١هـ):

قالت له أمه: يا بني اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي[2].

ومن ثَّم قال هو: ينبغي للرجل أن يكره ولده على العلم فإنه مسؤول عنه[3].

وقالـت لـه: يا بني إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسـك

---

(١) تذكرة الحفاظ(١/ ١٧٨-١٨٠).

(٢) صفوة الصفوة(٣/ ١٨٩)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٧٣).

(٣) الـدراري في ذكـر الـذراري (ص:٤٨)، وسـير أعلام النبـلاء(٧/ ٢٧٣)، وفي شرف أصحـاب الحديـث(ص:١٢٧): «...أن يكـره ولـده على طلب الحديـث». ورويت الكلمة عن عبد الله بن داود في عدد من المصادر منها شرف أصحاب الحديث(ص:٦٦) ولكن صرح - كما في حلية الأولياء(٦/ ٣٦٥) أنه سمعها من الثوري. وجاء لفظه في بعض المواضع كشرف أصحاب الحديث(ص:٦٦) وتاريخ دمشق(٢٨/ ٢٥) وجزء فيه أحاديث عوال وحكايات وأشعار للضياء المقدسي(ص:٢٩-٣٠). «نول الرجل أن ...» ونـول بمعنـى ينبغي، قـال في القاموس(ص:١٣٧٧): «نولـك أن تفعل كذا ونوالك ومنوالك: أي ينبغي لك».

زيادة في مشيك وحلمك ووقارك؟ فإن لم يزدك فاعلم أنه لا يضرك ولا ينفعك[1].

- قاضي مكة: محمد بن عبد الرحمن بن هشام (ت:١٦٩هـ).

قالت له أمه: إنك خلقت خلقة لا تصلح معها لمعاشرة الفتيان، فعليك بالدين والعلم فإنهما يتمان النقائص، ويرفعان الخسائس.

قال: فنفعني الله بما قالتْ، وتعلمت العلم حتى وليت القضاء.

قال الصفدي: «وكان قصيراً دميماً جداً، وعنقه داخلاً في بدنه، ومنكباه خارجان كأنهما رحيان، وكان الخصم إذا جلس بين يديه لا يزال يرعد إلى أن يقوم!»[2].

- الإمام مالك بن أنس(ت:١٧٩هـ):

كانت أمه تقول له بعد أن تلبسه العمامة وتهيئه: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه[3].

- الإمام الحافظ الصادق الصالح، محدِّث أصبهان: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ، صاحب التصانيف(٢٧٤-٣٦٩هـ):

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ١٨٩).
(٢) الوافي بالوفيات(٣/ ٢٢٤).
(٣) الإمام مالك بن أنس للدقر (ص:٤٧)، والديباج المذهب(١/ ٢٠).

قـال الذهبي في ترجمتـه: «طلب الحديث من الصغـر، اعتنى به الجد، فسمع من جدِّه محمود بن الفرج الزاهد»وآخرين[1].

- الشـيخ أبـو بكر الوراق: محمد بن إسـماعيل بن العبـاس البغدادي المستملي(ت:٣٧٨هـ):

قـال ابـن العـماد: «اعتنى بـه أبوه، وأسـمعه من الحسـن بـن الطيب البلخي، وعمر بن أبي غيلان، وطبقتهما، وعاش خمساً وثمانين سنة، وكان صاحب حديث، ثقة»[2].

- الحافـظ الحاكـم محمـد بـن عبـد الله النيسـابوري المعـروف بابـن البيّع(٣٢١-٤٠٥هـ):

قـال الصفدي في ترجمته: «طلب العلم من الصغر باعتناء أبيه، وأول سماعه سنة ثلاثين (٣٣٠)»[3].

- الإمام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٣٣٦-٤٣٠هـ) صاحب كتاب «حلية الأولياء»:

قـال ابـن العـماد في ترجمتـه: «اعتنـى به أبـوه، وسـمّعه في سـنة أربع وأربعين وثلاث مئة، وبعدها، اسـتجاز له خيثمـة الأطرابلسي، والأصم

(١) انظر: سير أعلام النبلاء(١٦/ ٢٧٧).
(٢) شذرات الذهب(٤/ ٤١٤).
(٣) الوافي بالوفيات(٣/ ٣٢٠).

وطبقتها، وتفرد في الدنيا بعلو الإسناد، مع الحفظ والاستبحار من الحديث وعلومه»[1].

- أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن ابن مهرة الحداد الأصبهاني (٤١٩ - ٥١٥هـ):

قال أبو سعد السمعاني في ترجمته - وهو مجاز منه-: «كان شيخاً عالماً، ثقة، صدوقاً، من أهل القرآن، والعلم، والدين، قرأ القرآن بروايات، وعُمِّرَ العمر الطويل حتى حدّث بالكثير، ورحل الناس إليه، ورأى من العز ما لم ير أحد في عصره، وكان خيراً، ديناً، صالحاً»[2].

ثم قال: «رحل إليه الناس من الأمصار، وكثر عليه طلبة الحديث من الأقطار، كتب إلي الإجازة بجميع مسموعاته مرتين، وخطه عندي بذلك، وهو أجل شيخ أجاز لي ممن علا سنده وكثرت رواياته، وحدثني عنه جماعة كثيرة بخراسان والعراق وما وراء النهر»[3].

وكان وراءه أب حريص صالح: يقول أبو سعد: «وكان والده إذا خرج إلى حانوته ليعمل في الحديد يأخذ بيده ويدفعه في مسجد أبي نعيم الحافظ ليسمع ما يقرأ عليه، فأكثر عنه حتى صار بحيث لا يفوته شيء عنه

(١) شذرات الذهب(٥/ ١٤٩).
(٢) المنتخب من معجم شيوخ أبي سعد(١/ ٥٧٨).
(٣) السابق(١/ ٥٨٠).

إلا ما شاء الله»[1].

ثم ذكر ثبت مسموعاته، وهي كثيرة جداً، منها (٦٩) كتاباً من كتب أبي نعيم[2].

فانظر هذه الثمار العظيمة التي أثمرها عمل هذا الأب الناصح في دفع ابنه إلى مسجد أبي نعيم، وذهابه إلى عمله بنفسه ينفخ النار ويذيب الحديد، وقد نظر الله إلى نيته، ونفع بابنه النفع الكبير كما ترى من كلام مجازه أبي سعد.

- المقرىء المجوِّد أحمد بن عبد الجبار، ابن الطيوري الصيرفي الكتبي(٤٣٤-٥١٧هـ):

قال الذهبي في ترجمته: «شيخ صالح مكثر، اعتنى به أخوه، وسمَّعَهُ، واستجاز له»[3].

- الإمام المفسر عبد الحق ابن الإمام الحافظ أبي بكر غالب المحاربي الأندلسي، الغرناطي، المالكي(٤٨٠-٥٤٢هـ):

قال الذهبي في ترجمته: «اعتنى به والده، ولحق به[العلماء] الكبار،

---

(١) السابق(١/ ٥٧٨).
(٢) انظر قائمة المسموعات في المصدر المذكور(١/ ٥٨٠-٦٠٠).
(٣) تاريخ الإسلام(٣٥/ ٤٠٩).

وطلب العلم وهو مراهق، وكان يتوقد ذكاء»[1].

- الإمام أبو سعد السمعاني(٥٠٦-٥٦٢هـ):

وُصف أبوسعد بأنه محدِّث المشرق، وصاحب التصانيف المفيدة الممتعة، والرياسة والسؤدد والأصالة[2]، وقد توفي عن (٥٦) سنة كما ترى.

«قد اعتنى به والده عناية كبيرة، مبكراً به السماع من أجلة مشايخ مرو ونيسابور، حينما رحل به إلى نيسابور سنة(٥٠٩)، وكان يحضره مجالس المحدِّثين، ويكتب له ما أملوه، أو ما قرىء عليهم في تلك المجالس، وكان يحصِّل له الإجازات، وبهذا فقد حصل لولده علو الإسناد من مشايخ عصره، وكانت هذه الإجازات والسماعات أساس مادته العلمية الأولى»[3].

- الإمام الجليل العالم الصدق مسند العراق محمد بن عبد الباقي المعروف بابن البطِّي(٤٤٧-٥٦٤هـ):

---

(١) سير أعلام النبلاء(١٩/ ٥٨٨)، وما بين المعقوفين زيادة مني.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى(٧/ ١٨٠).

(٣) مقدمة محققة التحبير في المعجم الكبير(١/ ٢٠)، وانظر هنا في الحاشية الإحالات التي تدل على هذا.

قـال الذهبي: «اعتنى به والده من الصِّغر» ثم ذكر شـيوخه وتلاميذه وهم كثيرون[1].

- الشـيخ عبـد الحـق بن عبد الملـك المالقـي العبدري المعـروف بابن البيطار(٥٠٤-٥٨٦ أو بعدها):

قال ابن الأبار: «كان عالي الإسـناد، صحيح السـماع، ولأبيه تقدم في هذا الشـأن، وهو اعتنى به، وأسمعه صغيراً، ورحل به إلى قرطبة، فأورثه نباهة»[2].

- الإمام يوسف (ت:٦٥٦هـ) بن أبي الفرج بن الجوزي البغدادي(ت: ٥٩٧هـ):

أصيب ابن الجوزي بمحنة شـديدة، إذ نفـي من بلده بغداد إلى مدينة واسـط وهـو في الثمانـين مـن العمـر، وكان لـه ولد اسـمه يوسـف، ولد سـنة(٥٨٠)، أي كان في العـاشرة مـن العمر حين نفي والـده ، وقد جاء في ترجمته أنه «قرأ القرآن بالروايات العشر على ابن الباقلاني بواسط، وقد جاوز العشر سـنين من عمره»[3]، وهذا يعني أنه قـرأ الروايات مع والده حين كان يزوره في منفاه، إذ لم يرجع أبوه حتى قرأ الروايات العشر كذلك

(١) سير أعلام النبلاء(٢٠/ ٤٨١-٤٨٣).
(٢) التكملة(٣/ ١٢٢)، وعنه الذهبي في تاريخ الإسلام(٤١/ ٢٦٨).
(٣) الذيل على طبقات الحنابلة(٢/ ٢٥٨).

وهو في هذه السن[1] فاقرأ واعجب.

- مُسْنِد الشام أبو طاهر بركات بن إبراهيم الخُشوعي الدمشقي (٥١٠-٥٩٨هـ):

قال الذهبي: «هو من بيت الحديث والرواية، اعتنى به والده، وما زال هو يَسمع ويُسمع، وحمل الناس عنه علماً جمّاً»[2].

- الإمام فخر الدين أبو المظفر عبد الرحيم ابن الإمام أبي سعد السمعاني المروزي (٥٣٧-٦١٧):

قال الصفدي: «اعتنى به أبوه أتم عناية، ورحل به، وسمَّعه الكثير، وأدرك الإسناد العالي، ووقع له عالياً «صحيح البخاري»، و «سنن أبي داود»، و «جامع الترمذي»، و «سنن النسائي»، و «مسند أبي عوانة»، و «تاريخ يعقوب الفسوي»، وسمع الكتب الكبار مثل «الحلية»، و «مسند الهيثم بن كليب»، وأشياء كثيرة.

وخرَّج له أبوه «معجماً» في ثلاثة عشر جزءاً[3]، وحدّث ببغداد، وعاد إلى مرو، ورحل الناس إليه، وحدَّث عنه الأئمة، وانقطع بموته شيء كثير

---

(١) قال الذهبي في تذكرة الحفاظ (٤/ ١٣٤٦): «قرأ بواسط وهو ابن ثمانين سنة بالعشر على ابن الباقلاني، وتلا معه ولده يوسف».

(٢) تاريخ الإسلام (٤٢/ ٣٣٩).

(٣) أي كتاباً فيه أسماء شيوخه، وما يرويه عنهم..

من المرويات»[1].

- شيخ القراء عيسى بن عبد العزيز الأندلسي الشريشي الأصل، الإسكندراني(ت:٦٢٩هـ):

قال الذهبي: «أسمعه والده من أبي طاهر السِّلفي، وغيره كثيراً ...»[2].

- الإمام ابن سيد الناس: محمد بن محمد اليعمري الأندلسي (ت:٧٤٣هـ):

جاء في ترجمته: «قدم به أبوه الديار المصرية، ورغبه في العلم، ويسَّر له، ودار به على الشيوخ، فبلغت مشيخته نحواً من ألف شيخ»[3].

- المحدِّث حسين بن عمر الدمشقي الحلبي(٧١٠-٧٧٧هـ):

قال الذهبي في ترجمته: «شاب متيقظ، سمع وخرَّج، وكتب عني (الكاشف)...، وسمع من جماعة بحلب باعتناء أبيه...»[4].

---

(١) الوافي بالوفيات(١٨/ ٣٣١)، وانظر وفيات الأعيان(٣/ ٢١٢) وفيه أنه جمع له كذلك «عوالي» في مجلدين ضخمين. وأنه شغله بالفقه والأدب والحديث، حتى حصَّل من كل واحدٍ طرفاً صالحاً. وقد نقل ابن ناصر الدين في توضيح المشتبه(٨/ ١٧٤) عن الثبت الذي خرجه أبو سعد لابنه، ولعله يريد معجم الشيوخ.

(٢) طبقات القراء(٢/ ٩٧٠).

(٣) الدرر الكامنة(٤/ ٢٠٩)، وطبقات الشافعية(٩/ ٢٦٨).

(٤) المعجم المختص(ص:٨٨).

- العالم الأديب محمد بن علي الكيلاني التاجر (ت:٨٢١هـ):

قال صديقه الحافظ ابن حجر: «ولد في حدود سنة سبعين(٧٧٠)، وعُني به أبوه فشغله في عدة علوم، وحفظ (الحاوي) وعدة كتب، وحصّل له أبوه من الكتب النفيسة جملة مستكثرة»[١].

- الإمام العلامة ولي الدين أبوزرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي ثم المصري(٧٦٢-٨٢٦هـ):

قال ابن فهد: «اعتنى به أبوه، فبكّر به وأحضره على أبي الحرم القلانسي ومَنْ في عصره، وأسمعه الكثير ببلده، وأول ما طعن في [السنة] الثالثة رحل به إلى دمشق في سنة خمس وستين(٧٦٥)، فأحضره الكثير على الجم الغفير من أصحاب الفخر بن البخاري، وابن عساكر وغيرهما.

ثم لما ترعرع حبب إليه السماع فطلب بالقاهرة ومصر بنفسه، فأكثر عن مشايخ عصره، قرأ بنفسه عليهم الكثير ...»[٢].

- الإمام برهان الدين سبط ابن العجمي الحلبي(٧٥٣-٨٤١هـ):

قال السخاوي في ترجمته: «مات أبوه وهو صغير جداً، فكفلته أمه، وانتقلت به إلى دمشق فحفظ بها بعض القرآن، ثم رجعت به إلى حلب،

(١) ذيل الدرر الكامنة(ص:٢٦٧).
(٢) لحظ الألحاظ(ص:٢٨٤-٢٨٥).

فنشـأ بها، وأدخلته مكتب الأيتام لناصر الدين الطواشي تجاه «الشاذبختية الحنفية» بسـوق النشـاب، فأكمل به حفظه، وصلى به على العادة التراويح في رمضان بخانقاه جدِّه لأمه الشمس أبي بكر أحمد ابن العجمي... برأس درب البازيار»[1].

قلت: قال شيخنا الأستاذ الشيخ محمد عوامة: «وفي هذا العمل الأخير ربط قلبي بين قلب ولدها الناشيء الصغير، وبين أجداده وأسـلافه، كأنها تريد أن تقول له: أريدك أن تخلف أسلافك وتنهج نهجهم»[2].

- أحمد بن المحب محمد بن بلكا القادري(ت:٨٦٤هـ):

قال السـخاوي: «اعتنى به أبوه، فأسمعه بقراءتي وعليَّ، ولم يلبث أن مات بالطاعون سنة أربع وستين(٨٦٤)، وكان رفيقاً لولدي عوضهما الله الجنة»[3].

- عبـد الرحمـن بـن محمـد القرشي الزبـيري القاهـري ويعـرف بابن الفاقوسي(٧٨٦-٨٦٤):

قال السـخاوي:«ولد بالقاهرة، ونشـأ بها فحفظ القرآن وجوده عند

(١) الضوء اللامع(١/ ١٣٨).
(٢) مقدمة الكاشف وحاشية الإمام المذكور عليه(١/ ١٠٠).
(٣) الضوء اللامع(١/ ١٠١).

الفخـر الضريـر، وألفية ابـن مالك، وحـضر دروس الغـماري في النحو، وحُبِّـب إليه علم التعبير، وأدمن مطالعة كتبه، والاجتماع بأهله، فمهر فيه بحيـث فاق العارفين فيه على قلتهم، ومن بديع تعبيره قوله لمن قص عليه أنـه رأى في إحدى يديه رغيفاً، وفي الأخرى قرصاً وهو يأكل منهما: إن له زوجة، وهو يزني بابنتها، فاعترف الرائي واستغفر وتاب.

وكان قـد اعتنـى بـه أبوه فأحضره عـلى ابن حاتم، ثم أسـمعه الكثير عن التنوخي، وابن أبي المجد، وابن الشـيخة، والحلاوي، والسـويداوي، والقطب عبد الكريم الحلبي، والعراقي، والهيثمي، وابن الملقن، والصدر المناوي، والمجد إسـماعيل الحنفي، والمحب بن هشـام، وحفيد أبي حيان، والجمال العرياني، في آخرين»[1].

- محمـد بـن عبـد الرحمـن بـن أحمـد: المحب بـن التقـي بـن القطب القلقشندي الأصل، القاهري الشافعي(ت: ٨٧٠هـ ظناً):

قـال السـخاوي: «اعتنى به أبوه، فأحضره على شـيخنا [ابن حجر]، وابن الفـرات، وغيرهما، وحفظ كتباً، وعرض على جماعة، واشـتغل عند البهاء المشهدي، وغيره»[2].

---

(١) الضوء اللامع(٤/ ١٢٨).

(٢) الضوء اللامع(٧/ ٢٨٢-٢٨٣).

- هاجر ابنة المحدث محمد بن محمد المقدسي الأصل، القاهري الشافعي(ولدت سنة ٧٩٠-٨٧٤هـ):

قال السخاوي: «اعتنى بها أبوها فأحضرها وأسمعها الكثير جداً من عوالي الأجزاء، والمشيخات، والأربعينات، والفوائد، والكتب، لكن غاب عنا حصره، وحصَّلت منه بالتتبع جملة، وصارت بأخرةٍ أسند أهل عصرها، وتزاحم عليها الطلبة، (وكنتُ ممن حمل عنها قديماً أشياء قليلة، استغناء عنها خصوصاً، وقد كانت على نمط كثير من العجائز في عدم التحجب ونحوه، ثم حسن حالها، وقرأت عليها سائر ما وقفت عليه لأجل الولد، وغيره ...»[1].

- خديجة ابنة محمد بن عبد الله بلكا، أم سلمة(القرن ٩هـ):

قال السخاوي: «ابنة صاحبنا المحب القادري، شقيقة أبي الطاهر محمد وزينب، اعتنى بها أبوها، فأسمعها أشياء منها البخاري في الظاهرية، وأجاز لها جماعة»[2].

وقال في ترجمة أختها زينب: «اعتنى بها أبوها فأسمعها أشياء منها البخاري في الظاهرية»[3].

---

(١) الضوء اللامع(١٢/ ١٣١).
(٢) الضوء اللامع(١٢/ ٣١).
(٣) الضوء اللامع(١٢/ ٤٧).

- أحمد بن محمد بن عبيد: أبو البركات بن أبي سعد بن القطان(كان حياً سنة٩٠٢هـ):

قال السخاوي: «اعتنى به أبوه، فأقرأه القرآن، وأسمعه الحديث، وهو ممن سمع مني، وخلف والده في[خانقاه] (سعيد السعداء) وغيرها»[1].

- أبو الفضل أحمد بن محمد العقبي الصحراوي(كان حياً سنة ٩٠٢هـ):

قال السخاوي: «اعتنى به عم أبيه الزين رضوان، فأسمعه على الشرف ابن الكويك، والولي العراقي، والجمال الحنبلي، والشمس الشامي، والنور الفوي، وطائفة، واستجاز له خلقاً»[2].

- الفقيه الفيلسوف المصلح المجدد محمد يوسف موسى(١٣١٧-١٣٨٣هـ):

جاء في ترجمته أن والده توفي في السنة الأولى من حياته، وكان أحد إخوة ثلاثة، ترملت أمهم في فتاء السن، ونزعت في تربية هؤلاء الأولاد منزع إخوتها آل والي، فحرصت على تعليمهم، ورفضت ما أشار به عمُّ الطفل الوليد من إعداده ليكون فلّاحاً يشرف على شؤون الزراعة، ويفتح

(١) الضوء اللامع(٢/ ١٨٥)، وما بين المعقوفين مني.
(٢) الضوء اللامع(٢/ ٩٠).

البيت في القرية، وقالت: إن ابني هذا سيكون صاحب عمود. وتعني أن ابنها سيكون عالماً أزهرياً يلتف الناسُ حوله، ليدرسوا عليه، ويستفيدوا من علمه.

قال الدكتور محمد الدسوقي: «وتحققت نبؤة الأم الصالحة، فصار وليدها هذا عالماً مرموقاً، ودكتوراً في الفلسفة، وفقيهاً له دراساته العلمية الرصينة»[1].

- الشيخ المفسر محمد الأمين الجكني الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ):

يقول الشيخ: «لما حفظت القرآن، وأخذت الرسم العثماني، وتفوقت فيه على الأقران، عُنيت بي والدتي وأخوالي أشد عناية، وعزموا على توجيهي للدراسة في بقية الفنون، فجهزتني والدتي بجملين: أحدهما عليه مركبي وكتبي، والآخر عليه نفقتي وزادي، وصحبني خادم ومعه عدة بقرات، وقد هيأتْ لي مركبي كأحسن ما يكون من مركب، وملابس كأحسن ما تكون، فرحاً بي، وترغيباً لي في طلب العلم، وهكذا سلكتُ سبيل الطلب والتحصيل»[2].

---

(١) من: محمد يوسف موسى(ص:١٢-١٣). وانظر ما جاء عن أسرة والي المصدر نفسه(ص:١٢) وهو ينقل عن تقويم دار العلوم (ص:٣٦٨).

(٢) من ترجمته في مقدمة فقه المعاملات(ص:١٨-١٩)، والمؤلف ينقل عن ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي لعبد الرحمن السديس.

إن هـذه النـماذج المشرقة التي رأيناهـا من الآباء الواعـين والأمهات الواعيات، تبعث على الإعجاب، وتثير الغبطة، وتدعو إلى الاقتداء.

وقـد نلحـظ فيها التكـرار والتشـابه في الأخبار في أن فلانـاً اعتنى به أبـوه، وفلاناً اعتنى به أبوه، وهكـذا ... وهو تكرار مقصود للاطلاع على جهـود أولئك الآبـاء وأثرهم في تعلّـم أبنائهم وتخرّجهـم ونبوغهم. هذا أولاً، وثانيـاً لتأكيد هذا المعنى الذي نسـوق هذه الأخبـار له، وهو رعاية الأسرة وعنايتها وحرصها وإرادتها الخير لأبنائها.

ونتساءل: ماذا لو قصَّر أولئك الآباء والأمهات في حق أبنائهم هؤلاء الذين أصبحوا - رجالاً ونسـاءً - رموزاً كبيرة في تاريخنا العلمي، انتفعوا ونفعـوا، وتحملوا الأمانة وأدوها، وأضـاء - كلٌ في موقعه - محيطه الذي كان فيه؟

تُـرى لو اسـتجابت أم أرملة لنـداء الحاجة المؤقتة فدفعـت بابنها إلى السوق بلا علم يستهدي به، ولا سلوك يتجمل بجماله، ولا غاية يحيا لها، ماذا ستكون النتيجة؟

سـتكون ضياعَ هذا المسـتقبل الكبير الذي صنعه ذلك الطفل اليتيم، وحرمـانَ الكثـير مـن الطلاب من علـمٍ بثه، وإرشـادٍ أظهـره، وحقٍ دعا إليه.

وأيضاً: ترى لو استجاب أب لنوازع الحاجة الدنيوية فسلك بابنه معه في مسالك الدنيا، وزج به في أودية العمل المبكِّر دون علمٍ يرفع غاشية الجهل، ولا دليلٍ يهدي الحائر في الطرقات المظلمة، ولا بصرٍ بالحلال والحرام، ولا بصيرةٍ تتطلع إلى حقائق الوجود، ترى ماذا ستكون النتيجة؟

ستكون حتماً غيابَ كثيرٍ من الأسماء اللامعة التي يزدان بها تاريخنا العلمي والعملي.

هذان سؤالان، ومَنْ يقرأ سيثور في نفسه غيرهما.

المهم أن نقتدي بهؤلاء الآباء الجاهدين المجاهدين، والأمهات الجاهدات والمجاهدات، ونوجه بأبنائنا إلى العلم فهو خير سبيل.

ورحم الله التابعي العالم الصالح الصابر عروة بن الزبير بن العوام (المتوفى سنة: ٩٤هـ) فقد جاء عنه أنه قال لبنيه:

«يا بني تعلموا، فإنكم إن تكونوا صغار قوم عسى أن تكونوا كبارهم، واسوأتاه، ماذا أقبح من شيخ جاهل؟!»[1].

وجميل أن نردد مع عروة: واسوأتاه، ماذا أقبح من شخص كبير جاهل؟!.

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٨٥).

إحضارهم مجالس العلم وهم صغار

كان من عناية الأسرة المسلمة بالأبناء حملهم إلى مجالس العلم وهم صغار غير واعين ولا مدركين، ليرتبطوا بالعلم، ويقتربوا منه، ويكون ذلك أساساً نافعاً لهم حتى يتفتح وعيهم وتنمو مداركهم.

والأمثلة في ذلك كثيرة، وهي من المباحث التي ينبغي الاهتمام بها وجمعها وتبويبها وإظهارها، لما فيها من كشف جميل عن الحياة العلمية لدى المسلمين، وحبهم للعلم، وأساليبهم في تحبيب أبنائهم إليه، فمن ذلك هذه الإلماحات:

- قال ابن خلكان في ترجمة التابعي أبي إسحاق عمرو بن عبد الله بن علي السبيعي الهمداني الكوفي: «من أعيان التابعين، رأى علياً وابن عباس وابن عمر من الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين، وروى عنه الأعمش وشعبة والثوري وغيرهم، رضي الله عنهم، وكان كثير الرواية.

ولد لثلاث سنين بقين من خلافة عثمان، رضي الله عنه، وتوفي سنة تسع وعشرين ومئة ... وكان أبو إسحاق المذكور يقول: رفعني أبي حتى رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يخطب وهو أبيض الرأس واللحية»[1].

(١) وفيات الأعيان(٣/ ٤٥٩).

وفي هـذا الخـبر - بالإضافة إلى إحضاره - اهتـمام الأب بأن يرى ابنه علياً، وفي رفعه له وسيلة لتأكيد هذا في ذهنه.

- وقـال السـخاوي في ترجمة كمال الدين محمد بن محمد المرشـدي ثم المكي الحنفي سبط الكمال الدميري(٧٩٦-٨٦١هـ بمكة):

«ولد بمكة، ونشـأ بها، فقرأ القرآن وتلا به .. وعرضه على أبيه وعمه ... واشـتغل في الفقـه عـلى أبيـه وعمه، وبالقاهـرة على العز عبد السـلام البغـدادي، وآخريـن، وفي النحـو على أبيـه ... وكان أبوه قـد اعتنى به في صغـره، وأحضره في أول شـهر من عمره فما بعده، فـكان ممن حضر عليه الشمس بن سكر، وأحمد بن حسن بن الزين ...»[1].

- وقال في ترجمة صالحة بنت علي بن عمر، حفيدة الإمام الكبير سراج الدين ابن الملقن(توفيت سنة٨٧٦هـ، وتوفي جدها سنة ٨٠٤):

«أُحضرت في الثالثة [من عمرها] في شوال سنة سبع وتسعين [٧٩٧] وبعدها على جدِّها، بل سمعت عليه المسلسل وغيره، وحدثت عنه، سمع منها الفضلاء، حملتُ عنها، وكانتْ كاسمها»[2].

هـذه أمثلـة، وهناك غيرهـا الكثير الكثـير، مما يمكن أن يمـلأ مجلداً،

---

(١) الضوء اللامع(٨/ ٢٩٧).

(٢) الضوء اللامع(١٢/ ٧٠)، وانظر عن سماع الصغير فتح الباري (١/ ١٧١).

فلعل همة تنهض بذلك، وتكشف لنا جانباً من عجائب ما فعلته الأسرة المسلمة استجابة لقول ربها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[1] هذه الوقاية المتمثلة بالتعليم والتأديب كما مر معنا.

لن أعلِّق طويلاً فيكفي أن نتخيل وجود طفلٍ عمره شهر في مجالس العلم لندرك أية أسرةٍ صنعها الإسلام.

(١) من سورة التحريم، الآية:٦.

مباشرة تعليمهم بالنفس

كان من رعاية الأسرة أن يتولى العالم فيها مباشرة تعليم الأبناء بنفسه ما وجد إلى ذلك سبيلاً، وهذا يبين مدى الرعاية من جهة، ويؤكد الاقتداء بهم في هذا من جهة أخرى، وأذكر من ذلك هذه الأخبار:

- قال ابن فرحون في ترجمة أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة(ت:٣٢٢هـ بمصر):

«كان من أهل العلم والحفظ لكتب أبيه، والإتقان، سُمعت منه كتب أبيه من حفظه، وكان يحفظها كما يحفظ القرآن، ويرد فيها من حفظه النقطة والشكلة وما معه نسخة، كان أبوه أبو محمد حفّظه إياها في اللوح، وعدتها واحد وعشرون مصنفاً» ثم عددها[١].

- وقال ياقوت في ترجمة الإمام ابن جني(ت:٣٩٢هـ):

«كان لابن جني من الولد: علي وعال وعلاء، وكلهم أدباء فضلاء قد خرَّجهم والدهم وسمعهم وحسَّن خطوطهم، وهم معدودون في الصحيحي الضبط، وحسني الخط»[٢].

---

(١) الديباج المذهب(١/ ١٦١)، وفيه «أحد وعشرون»!

(٢) معجم الأدباء(١/ ١٩) ط١ الرفاعي، وانظر: الوافي(١٩/ ٤٧٣).

- وقال ابن خلكان في ترجمة الإمام اللغوي ابن سيده المرسي: أبي الحسن علي بن إسماعيل(٣٩٨-٤٥٨هـ):

«كان ضريراً، وأبوه ضريراً، وكان أبوه أيضاً قيماً بعلم اللغة، وعليه اشتغل ولده في أول أمره»[١].

- وقال في ترجمة الإمام عبد الملك بن عبد الله الجويني(٤١٩-٤٧٨هـ):

«تفقه في صباه على والده أبي محمد - وكان يعجب بطبعه وتحصيله وجودة قريحته وما يظهر عليه من مخايل الإقبال - فأتى على جميع مصنفات والده وتصرف فيها، حتى زاد عليه في التحقيق والتدقيق»[٢].

- وقال الذهبي في ترجمة الإمام ابن الإمام أبي نصر عبد الرحيم ابن أبي القاسم القشيري النيسابوري(ت:٥١٤هـ):

«اعتنى به أبوه، وأسمعه، وأقرأه حتى برع في العربية، والنظم والنثر، والتأويل، وكتب الكثير بأسرع خط، وكان أحد الأذكياء، لازم إمام الحرمين، وحصل طريقة المذهب والخلاف، وساد، وعظم قدره، واشتهر ذكره»[٣].

---

(١) وفيات الأعيان(٣/ ٣٣٠).
(٢) وفيات الإعيان(١/ ١٦٨)، وانظر ترجمة والده في (٣/ ٤٧-٤٨).
(٣) سير أعلام النبلاء(١٩/ ٤٢٤-٤٢٥).

- وجاء في ترجمة ابن دقيق العيد(ت:٧٠٢هـ):

«نشأ بقوص، واشتغل على والده بمذهب مالك»[١].

- وقال الذهبي في ترجمة الشيخ إسحاق ابن الشيخ برهان الدين إبراهيم: ابن الوزيري(ت:٧١٩هـ) مُؤدِّب الأيتام بدمشق:

«اعتنى به والده، وأسمعه من الحافظ عبد العظيم المنذري (معجمه)، وأسمعه (الشاطبية)، وعدة كتب في القراءات من الكمال الضرير، ثم قرأ بالسبع على والده، وعلى الكمال بن فارس. وكان عاقلاً، فاضلاً، حسن السمت...»[٢].

- وقال السخاوي في ترجمة المحدث إبراهيم ابن المحدث عبد الله العرياني(٧٩١-٨٥٢هـ):

«ولد بالقاهرة، ونشأ بها، فحفظ القرآن ... وحفظ كتباً في العلوم ... وانتفع في ابتدائه في النحو والفقه والحديث بوالده الجمال، بل اعتنى به أبوه فأحضره على التقي ابن حاتم، والشهاب ابن المنقر، والصلاح الزفتاوي، والتاج الصردي، والنجم ابن الكشك، والسراج الكومي، والزينين ابن الشيخة والمراغي، والتقي الدجوي، وستيتة ابنة ابن غالي

(١) العقد المذهب(ص:١٧٥).
(٢) طبقات القراء(٣/ ١٢٥٤).

وأسـمعه على التنوخي، وابن أبي المجد، والبلقيني، والعراقي، والهيثمي، والصدر المناوي، والحلاوي، والسـويداوي، والشرف أبي بكر بن جماعة، والنجم البالسي، والشـهاب أحمد بن عبد الله بن رشيد السلمي الحجازي الحنفي، ومريم الأذرعية في آخرين من الصنفين»[1].

- وقال الأسـتاذ الأثري في ترجمة السـيد عبد الباقي ابن الإمام المفسر أبي الثناء محمود الآلوسي(ت:١٢٩٢هـ):

«تفقـه في مذهـب أبي حنيفة والشـافعي على والـده، وبعض تلاميذه وغيرهـم»[2]، وقـال وهو يعـدد مؤلفات أبي الثنـاء: «الفوائد السـنية من الحواشي الكلنبوية: في الآداب والمناظرة.

وهي مختصر حاشية مطنبة جداً للكلنبوي، على حاشية مير أبي الفتح عـلى (الحنفية) في الآداب، اختصرها في القسـطنطينية في أثنـاء تقرئته ابنه عبد الباقي حاشـية مير، وكتبها على هامش النسخة، ثم جردها ابنه السيد نعمان، وجمعها حفظاً لها من الضياع»[3].

- وجـاء في ترجمة علاء الدين ابن الفقيه الكبير ابن عابدين(١٢٤٤-١٣٠٦هـ):

---

(١) الضوء اللامع(١/ ٧٠).

(٢)أعلام العراق(ص:٥٥).

(٣)أعلام العراق(ص:٣٥).

«نشـأ في حجـر والده إلى أن ختـم القرآن الكريم صغـيراً فأتقنه غاية الإتقـان، وحفَّظَـهُ والـده بعض المتـون، وكان يحضره بجانبه في دروسـه، ويتفرس فيه الخير، ولما قرأ في نهاية أمره (ثبته) الذي جمعه لشـيخه الشـيخ شـاكر العقـاد أحضر ابنـه [هذا]، وأجـازه مـع الحاضرين إجـازة عامة، وشابكه، وصافحه، ودعا له»[1]، (وتوفي والده سنة١٢٥٢هـ).

- ومن ذلك ما جاء في ترجمة العلامة الفقيه الأستاذ مصطفى بن أحمد الزرقا(١٣٢٢-١٤٢٠هـ):

قال الأستاذ مجد مكي وهو يتحدث عن أبرز العلماء الذين لهم أثر في تكوينه العلمي وقد ذَكَرَ جده العلامة الشيخ محمد الزرقا(ت:١٣٤٣هـ) أولاً ثم والده(ت:١٣٥٧هـ) ثانياً:

«كان والـده - رحمـه الله تعالى - فقيهاً، لا يكاد يوجد كتاب من كتب الفقه وأمهاته الأولى إلا ودرسـه دراسـة، بل وحرثه حراثة، ولا يعلم بعد جده - رحمه الله تعالى - مثل والده في سعة الاطلاع، وجودة الفهم، ودقة النظر في تخريج وتنزيل المسائل والحوادث على القواعد.

ولم تقتصر علاقته بوالده على الدروس النظامية في المدرسة الخسروية، بل لازمه في دروسـه خارج المدرسـة في جامع آل الأميري(جامع الخير)، وفي الجامع الأموي الكبير بمدينة حلب.

---

(١) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري(١/ ٦٣).

ومما قرأه على والده حاشـية ابن عابدين في المدرسة الشعبانية، خارج الدروس النظامية، وكان يحضر درس والده مَنْ هم في سن أبيه، وكان هو أصغر الموجودين.

كـما لازم والده في البيـت، فقد كان يقضي معه الليـالي الطوال، وربما امتد السـهر إلى السـاعة الثانيـة بعد منتصف الليل، في نقـاش فقهي، يبلغ بهـم أحياناً إلى التشـاد، كلٌ مع دليله وطريقة فهمـه، وقد ينحاز الوالد إلى رأي ابنه بعد طول جدال، وقد ينحاز الابن إلى رأي أبيه أخيراً، فارتفعت الحجـب بينه وبين أبيه في نطاق المناقشـات العلمية، مـع الحفاظ التام على كرامة الأبوة ووقارها.

كان والـده معـه مثل المدرب الرياضي، يمرنـه تمرين خبير أُوتي صبراً وطول أناة، فكان يشجعه على النقاش والجرأة في إبداء الرأي، ويدربه على استخلاص الأحكام من خلال الأدلة والحجج.

وقـد كان والـده ذا ولع شـديد بالأدب والشـعر، ولم يعـرف عنه أنه مـارس نظمه، ولم تكـن مذاكراته كلها في حقول الفقـه، بل كانت متنوعة الأشـكال، متعـددة الألـوان، فربـما أمـضى مع والـده السـاعات والأيام والليـالي في مطالعة الروائع من كتب الأدب كالأغاني والعقد الفريد، وما إليهما كسقط الزند واللزوميات لأبي العلاء المعري. ومما قرأه على والده في

الأدب أيضـاً: «الطراز» لأمير المؤمنـين الزيدي في البلاغة، و«شرح بانت سعاد»[1].

إنَّ هذه الأخبار الرائعة تقودنا إلى شيء مهم، وهو أن على العالم أن لا ينسـى أنه أب، وعلى الأب - إذا كان عالماً - أن لا ينسـى أنه عالم، ليعطي لولده من أبوته ومن علمه حقه.

إننا نجد الكثير من الآباء ينشـغلون بتلامذتهم عن أبنائهم، فيحصل تقصير منهم، يؤدي إلى قصور لديهم.

ومـن الجميـل جداً أن يكـون الابـن ابنـاً وتلميذاً فيجمـع وصفين، في مقابـل وصفـين لـلأب: الأبـوة والعلم، ويتحقـق له النسـب الصلبي والقلبي.

ومـن جهة أخـرى نذكِّر الأبنـاء أن يعرفـوا نعمة الله عليهـم إذا كان لهم آباء علماء، ويسـتفيدوا منهم، وهذا يختصر لهم الوقت والجهد والمال، فالمعلِّـم أمامهم ينظـرون إليه في قعوده وقيامه، ويقظته ومنامه، وسـكوته وكلامـه، وفي كل ذلـك علم وأدب وسـلوك وتوجيه، بالقـول والعمل، والحركة والسكون، والصمت والسمت.

وفي حرمـان الأبناء من خير والدهم يقول الأمير الأديب أبو الفضل

(١) مقدمة «فتاوى مصطفى الزرقا» (ص:٢٧-٢٨).

عبيد الله بن أحمد الميكالي(ت:٤٣٦هـ):

كـــم والدٍ يحـرِمُ أَولادَهُ وخيرُهُ يحظى بـه الأبعـدُ

كالعينِ لا تبصرُ ما حولها ولحظُها يُدرك ما يَبْعُـدُ[1]

وهذه لقطة جميلة، فالعين لا تبصر الوجه مثلاً، وهي فيه - إلا بمرآة- مع أن لحظها يرى الأشياء البعيدة، وكذلك الوالد الذي يفيض خيره على البعيد، ويحرم منه القريب!

(١) روح الروح (٢/ ٨٦٦).

تفخيم أمر العلم
في قلوبهم وعقولهم ونفوسهم

إن مـن ركائـز التربيـة تفخيـمَ المفخَّم وتعظيـمَ المعظَّـم في تصورات الأبناء، وغرس هذه المعاني السامية في قلوبهم وعقولهم ونفوسهم، ليشبوا على تقدير هذه المعاني، ويتطلعوا إلى تحصيلها مدى حياتهم.

- وأظـن من هذا القبيـل ما فعله الإمام ابـن أبي زيد(ت:٣٨٦هـ) : يقول الشـعراني : «وقد حكي عن ابن أبي زيد القيرواني صاحب الرسـالة - رحمـه الله تعـالى - أنه أعطى فقيـه ولده[1] لما علَّمه حزبـاً من القرآن مئة دينار، فقال الفقيه: أنا يا سـيدي ما عملت شـيئاً أستحق به هذا كله، قال: فحـول الشـيخ ولـده من عنـده إلى فقيه آخـر، وقال: هذا رجل مسـتهين بالقرآن»[2].

ولنـا أن نتصور أثر هـذا القول وهذا الفعل من ابـن أبي زيد في نفس ولده، وما سيخلفان فيها من تعظيم لكتاب الله تعالى.

- ومنه ما جرى للشـيخ الإمام المسـند الكبير الصالح أبي الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي(٤٥٨-٥٥٣هـ):

وقد روى الشيخ أبو الوقت خبره لتلميذه يوسف بن أحمد الشيرازي،

(١) أي معلّم ولده.
(٢) تنبيه المغترين (ص:١٠٥).

فلندعـه يحكـي لنا ذلـك، قال في كتابـه «أربعين البلدان»: «لمّـا رحلت إلى شيخنا رُحلة الدنيا [1] ومُسْند العصر أبي الوقت، قدَّر الله لي الوصول إليه في آخر بلاد كِرْمان، فسـلَّمتُ عليه، وقبَّلتُه، وجلسـت بين يديه، فقال لي: ما أقدمك هذه البلاد؟

قلـتُ: كان قصدي إليك، ومُعَوَّلي بعد الله عليك، وقد كتبت ما وقع إليَّ مـن حديثك بقلمي، وسـعيت إليـك بقدمي، لأدرك بركة أنفاسـك، وأحظى بعلو إسنادك.

فقال: وفقك الله وإيانا لمرضاته، وجعل سـعينا لـه، وقصدنا إليه، لو كنت عرفتني حق معرفتي، لما سلمت عليَّ، ولا جلست بين يدي، ثم بكى بـكاءً طويـلاً، وأبكى من حضره، ثم قال: اللهم اسـترنا بسـترك الجميل، واجعل تحت الستر ما ترضى به عنا.

يا ولدي، تعلم أني رحلت أيضا لسماع «الصحيح» ماشياً مع والدي، من هراة إلى الداوودي ببوشنج، ولي دون عشر سنين، فكان والدي يضع على يـدي حجرين، ويقـول: احملهما. فكنـت من خوفـه أحفظهما بيدي، وأمـشي وهـو يتأملني، فإذا رآني قـد عييت أمرني أن ألقـي حجراً واحداً، فألقـي، ويخف عني، فأمشي إلى أن يتبين له تعبـي، فيقول لي: هل عييت؟ فأخافـه وأقول: لا، فيقول: لم تقصر في المشي؟ فأسرع بين يديه سـاعة، ثم

(١) أي يرحل إليه من البلدان.

أعجـز، فيأخـذ الآخر فيلقيه، فأمـشي حتى أعطب، فحينئـذ كان يأخذني ويحملني.

وكنا نلتقي جماعة الفلاحين وغيرهم، فيقولون: يا شيخ عيسى، ادفع إلينـا هذا الطفـل نُركبه وإياك إلى بوشـنج، فيقول: معـاذ الله أن نركب في طلـب أحاديث رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم، بل نمـشي، وإذا عجز أركبته على رأسي إجلالاً لحديث رسول الله ورجاء ثوابه. فكان ثمرة ذلك من حُسـن نيته أني انتفعت بسـماع هذا الكتاب وغـيره، ولم يبق من أقراني أحد سواي، حتى صارت الوفود ترحل إليَّ من الأمصار.

ثـم أشـار إلى صاحبنـا عبـد الباقي بـن عبد الجبـار الهـروي أن يقدم لي حلـواء، فقلـت: يا سـيدي، قراءتي لجـزء أبي الجهم أحـب إليَّ من أكل الحلواء، فتبسـم، وقال: إذا دخل الطعام، خرج الـكلام، وقدم لنا صحناً فيـه حلـواء الفانيـذ، فأكلنـا، وأخرجت الجزء، وسـألته إحضـار الأصل فأحضره، وقال: لا تخف ولا تحرص، فإني قد قبرت ممن سـمع عليَّ خلقاً كثـيراً، فسـل الله السـلامة، فقـرأت الجـزء، وسررت به، ويسَّر الله سـماع «الصحيـح» وغيره مـراراً، ولم أزل في صحبته وخدمته إلى أن توفي ببغداد في ليلـة الثلاثاء من ذي الحجة، ودفناه بالشـونيزية، قـال لي: تدفنني تحت أقدام مشايخنا بالشونيزية[1].

(١) تعرف الآن بمقبرة الشيخ جنيد البغدادي.

ولما احتُضِرَ سندته إلى صدري، وكان مستهتراً[1] بالذكر، فدخل عليه محمد بن القاسم الصوفي، وأكب عليه، وقال: يا سيدي، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»، فرفع طرفه إليه وتلا: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾(سورة يس: ٢٦-٢٧). فدهش إليه هو ومَنْ حضر من الأصحاب، ولم يزل يقرأ حتى ختم السورة وقال: الله الله، وتوفي وهو جالس على السجادة»[2].

- وسمعت من قريب عن العلامة الجليل المربِّي الكبير الأستاذ الشيخ عبد الله سراج الدين(ت :١٤٢٢هـ) أنه طلب من حفيدٍ له كان قريباً منه أن يناوله المصحف الشريف، ولم يكن الحفيد على وضوء، فأراد أن يحمل المصحف بمنديلٍ ورقي، فصاح به الشيخ: لا. ورفع طاقيته من رأسه، وناوله إياها وقال: احمله بهذه.

وأحسب أن هذا الخبر غير محتاج إلى تعليق. فرحم الله الشيخ ما كان أدقه وأوعاه، وما أعظم القرآن والسنة والعلم في صدره!

إن تعظيم المعظم سبب كبير من أسباب الانتفاع به :﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾[3].

---

(١) أي: مولعاً به منصرفاً إليه.
(٢) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٣٠٧-٣٠٩).
(٣) من سورة الحج، الآية:٣٢.

النفقة عليهم في تعلّم العلم النافع

إن النفقـة على العيال من الأعـمال المأجورة المشـكورة[1]، فكيف إذا كانوا طلاب علم؟ وقد بذل المسلمون أموالهم وما استطاعوا في ذلك طيبةً بها نفوسهم، راضية ببذلها قلوبهم، وممن يذكر في هذا المجال الطيب:

- والد الإمام المجاهد الكبير عبد الله بن المبارك (ت:١٨١هـ):

ذكر الصدفي قال: لما بلغ عبد الله بن المبارك دفع إليه أبوه خمسين ألف درهـم يتجر بها، فطلب العلم حتى أفقدهـا، فلما انصرف لقيه أبوه فقال: مـا جئتَ به؟ فأخرج إليـه الدفاتر، فقال: هذه تجـارتي. فدخل أبوه المنزل وأخرج له ثلاثين ألف درهم أخرى وقال: تتم بها تجارتك. فأنفقها[2].

- ويذكـر هنـا والد الحافظ الإمام أبي الوليد هشـام بن عمار السـلمي الدمشقي:

---

(١) للحافـظ أبي نعيـم أحمد بـن عبـد الله الأصبهاني(ت:٤٣٠هـ) كتاب بعنـوان «فضيلة السـاعين الأبطال، المنفقين على العيال» وقد سمعه منه أبو علي الحداد(ت:٥١٥هـ). انظر: المنتخب من معجم شيوخ أبي سعد السمعاني(١/ ٥٨٣).
ويقول التابعي الصالح المسَدَّد أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي البصري(ت:١٠٤هـ): «أي رجـل أعظـم أجراً من رجلٍ ينفق على عيال له صغار، يعفهم الله به ويغنيهم؟». صفة الصفوة(٣/ ٢٣٨).
ويقـول الإمـام عبـد الله بـن المبارك(ت:١٨١هـ): «لا يقع موقع الكسـب على العيال شيء، ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل». صفة الصفوة(٤/ ١٣٩).

(٢) ترتيب المدارك(١/ ٣٠٠) ط، بيروت.

وهشام هو خطيب دمشق ومقرئها، ومحدثها وعالمها، المعمر الزاهد، شيخ البخاري وأبي داود والنسائي وأُمم سواهم، ولد سنة(١٥٣)، وتوفي سنة(٢٤٥) رحمه الله تعالى:

«قال أبوبكر محمد بن سليمان الربعي، عن محمد بن الفيض الغساني: سمعت هشام بن عمار بن نصير يقول: باع أبي بيتاً له بعشرين ديناراً، وجهزني للحج، فلما صرت إلى المدينة أتيت مجلس مالك بن أنس، ومعي مسائل أُريدُ أن أساله عنها، فأتيته وهو جالس في بيته في هيئة الملوك، وغلمان قيام، والناس يسألونه وهو يجيبهم.

فلما انقضى المجلس قال لي بعض أصحاب الحديث: سل عما معك، فقلت له: يا أبا عبد الله، ما تقول في كذا وكذا؟ فقال: حصلنا على الصبيان! يا غلام احمله! فحملني كما يحمل الصبي، وأنا يومئذ غلام مدرك، فضربني بدِرَّةٍ مثل دِرَّةِ المُعلِّمين سبع عشرة درَّة، فوقفت أبكي، فقال لي مالك بن أنس: ما يُبكيك أوجعتك هذه؟ يعني الدرَّة.

قلتُ: إن أبي باع منزله، ووجه بي أتشرف بك وبالسماع منك، فضربتني! فقال: اكتب، فحدَّثني سبعة عشر حديثاً، وسألته عما كان معي من المسائل فأجابني»[1]. ويبدو أن الإمام مالكاً لم يرض طريقة سؤاله فأمر بتأديبه!

---

(١) تهذيب الكمال(٣/ ١١٤٤)، ومعرفة القراء الكبار(١/ ١٩٦)، وانظر خبراً في ذلك في كتاب المحن للتميمي(ص:٤١٩).

- ويذكر كذلك والد الإمام الكبير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري(٢٢٤-٣١٠هـ):

وقد ذكر الإمام والده جريراً في مناسبة لطيفة أيضاً دلت على عنايته بأبناء المسلمين، وحرصه عليهم، وإرادته الخير لهم.

قال تلميذه أبوبكر ابن كامل: جئت إلى أبي جعفر قبل المغرب ومعي ابني أبو رفاعة وهو شديد العلة .. فقال لي: هذا ابنك؟ قلت: نعم، قال: ما اسمه؟ قلت: عبد الغني، قال: أغناه الله، وبأي شيء كنيته؟ قلت: بأبي رفاعة، قال: رفعه الله، أفلك غيره؟ قلت: نعم، أصغر منه، قال: وما اسمه؟ قلت: عبد الوهاب أبو يعلى، قال: أعلاه الله، لقد اخترت الكنى والأسماء. ثم قال لي: كم لهذا سنة؟ قلت: تسع سنين، قال: لِمَ لَمْ تسمعه مني شيئاً؟ قلت: كرهت صغره وقلة أدبه، فقال لي: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع سنين، ورأى لي أبي في النوم أنني بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان معي مخلاة مملوءة حجارة وأنا أرمي بين يديه، فقال له المعبِّرُ: إنه إن كبر نصح في دينه، وذبَّ عن شريعته، فحرص أبي على معونتي على طلب العلم وأنا حينئذ صبي صغير[1].

(١) معجم الأدباء(٦/ ٢٤٤٦).

وقال أبو محمد الفرغاني: رحل محمد لما ترعرع من «آمل» وسمح له أبوه، وكان طول حياته يوجِّه إليه بالشيء[1] إلى البلدان.

قال لي: أبطأت عني نفقة أبي حتى بعت كمي قميصي.

هذه الرعاية أثمرت رجلاً من أعظم رجالات الإسلام، قيل فيه عند موته:

إنَّ المنية لم تُتلف به رجلاً ... بل أتلفتْ عَلَماً للدين منصوبا
كان الزمانُ به تصفو مشاربه ... والآن أصبحَ بالتكدير مقطوبا
ودَّتْ بقاعُ بلادِ الله لو جُعلت ... قبراً له فحباها جسمُهُ طيبا[2]

- وتذكر والدة الإمام الشيخ عبد القادر الجيلي البغدادي الحنبلي(ت:٥٦١هـ)، واسمها فاطمة بنت أبي عبد الله الصومعي:

رحل الشيخ عبد القادر إلى بغداد لطلب العلم، وعانى في ذلك ما عانى، وفي ذلك يقول:

«وكنت أقتات بخرنوب الشوك، وقمامة البقل، وورق الخس من جانب النهر والشط، وبلغت الضائقة في غلاء نزل ببغداد إلى أن بقيت أياماً لم آكل فيها طعاماً، بل كنت أتتبع المنبوذات أطعمها، فخرجت يوماً من شدة الجوع إلى الشط لعلي أجد ورق الخس أو البقل، أو غير ذلك

(١) أي ظل أبوه يلاحقه بشيء من المال حيث كان.
(٢) طبقات علماء الحديث(٢/ ٤٣٥-٤٣٦).

فأتقوت به، فما ذهبت إلى موضع إلا وغيري قد سبقني إليه، وإن وجدت أجـد الفقـراء يتزاحمون عليه فأتركه حباً[1]، فرجعت أمشي وسـط البلد لا أدرك منبوذاً إلا سـبقت إليه حتى وصلت إلى مسـجد ياسين بسوق الريحانيين ببغـداد وقد أجهدني الضعف، وعجزت عن التماسـك، فدخلت إليه وقعدت في جانـب منـه وقد كـدت أصافح الموت، إذ دخل شـاب أعجمـي ومعه خبز صافي وشـواء، وجلس يـأكل، فكنت أكاد كلما رفع يـده باللقمة أن أفتح فمي من شـدة الجوع، حتى أنكرت ذلك على نفسي فقلت ما هذا؟ وقلت: ما هاهنا إلا الله، أو مـا قضـاه من الموت، إذ التفـت إلي العجمي فرآني، فقال: بسـم الله يـا أخي، فأبيت، فأقسـم عليّ فبـادرت نفسي فخالفتها، فأقسـم أيضاً، فأجبته، فأكلت متقاصراً، فأخذ يسـألني: ما شـغلك؟ ومن أين أنـت؟ وبمن تعرف؟ فقلـت: أنا متفقه من جيـلان. فقال: وأنا من جيلان فهل تعرف شـاباً جيلانياً يسمى عبد القادر، يعرف بسبط أبي عبد الله الصومعي الزاهد؟ فقلت: أنا هو، فاضطـرب وتغير وجهـه، وقال: والله لقد وصلت إلى بغـداد، ومعي بقية نفقة لي، فسـألت عنك فلم يرشـدني أحد ونفدت نفقتي، ولي ثلاثة أيام لا أجد ثمن قوتي، إلا مما كان لك معي، وقد حلت لي الميتة وأخذت من وديعتك هذا الخبز والشـواء، فـكل طيبـاً، فإنما هو لك، وأنـا ضيفك الآن، بعـد أن كنت ضيفي، فقلـت لـه: وما ذاك؟ فقال: **أمـك وجهت لك معي ثمانية دنانير**، فاشـتريت

(٢) وقد تقرأ: حياء.

منهـا هذا للاضطرار، فأنا معتذر إليك، فسـكتّه، وطيبت نفسـه، ودفعت إليه باقي الطعام، وشيئاً من الذهب برسم النفقة، فقبله وانصرف»[1].

- والـدة العلامـة خاتمـة المحققـين محمـود بـن عبـد الله الأنطاكـي (ت:١١٦١هـ) المشهور في بلاد الروم بسلطان العلماء.

ولـد في أنطاكية وطلب العلم فيها، ثـم رحل في طلبه إلى مكة ومصر وبلاد الأكراد، قال الشـيخ المؤرخ محمـد راغب الطباخ: «وحكى - رحمه الله تعالى - أنه كان في مدة إقامته ببلاد الأكراد يتجزى طول السـنة بسـتة قروش ترسلها له والدته من ثمن غزلها.

قـال: وكانت الوالدة إذا غزلت تقـول - وهي تدير الدولاب - عند كل دورة: اللهم زد علم محمود. وكان هذا وردها ودأبها[2].

قـال: واتفق في أثناء إقامتي ببلاد الأكـراد نفد ما معي، وأبطأت عليَّ الستة قروش، فأتيت باب المدرسة فرأيت على عتبة الباب عثمانياً، فأخذته واكتفيت به ذلك اليوم لكثرة الرخاء هناك، ثم ثاني يوم رأيت العثماني في ذلك المكان، فأخذته، ثم في ثالث يوم كذلك، فلما كان اليوم الرابع وصلتني الستة قروش، فذهبت إلى المدرسة فلم أر شيئاً، فعلمت أن ذلك كرامة من والدتي.

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة(١/ ٢٩٨-٢٩٩).

(٢) أشرت إلى هذا الخبر في مبحث الدعاء لهم.

ثـم إنـه عـاد إلى بلدته، ولازم الإفادة بهـا حتى طار ذكره في الآفاق، وشُدَّتْ إليه الرحال، وتفوق على النظراء والأقران...».

ثـم اسـتدعي إلى حلـب ليتـولى التدريـس في المدرسـة الرضائيـة سـنة(١١٤٣هـ)، وبقي فيها إلى أن توفي، ودفن فيها، وقد أذن بالتدريس لزهـاء ثـلاث مئة رجل ممن لازمـه وقرأ عليه[1]، فانظر أثـر النفقة الحلال والدعاء الصالح من تلك الأم الصالحة المباركة!.

إن هـذه المواقـف الجليلـة والتصرفـات النبيلـة، التي وفـق الله إليها المبارك المروزي، وعماراً الدمشـقي، وجريـراً الطبري، وفاطمة الكيلانية، والوالـدة الأنطاكيـة، مواقـف وتصرفات حقهـا أن تكتب بـماء الذهب، ويتناولهـا - وأشـباهها - الخطباء والمدرِّسـون، ويدخلهـا مؤلفو المناهج الدراسـية في مناهجهـم، تقديراً لأصحابهـا، ودعاء لهم، وترحمـاً عليهم، واسـتنهاضاً لهمـم الآبـاء والأمهـات في كل عصر وحين، للاقتـداء بهم، والتـأسي بأعمالهم الخالدة هذه، رحمهـم الله ورضي عنهم وجزاهم خير ما يجزي الباذلين المخلصين.

---

(١) انظر: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء(٦/ ٤٩٣-٤٩٥)،
ولم أجـد لـه ترجمة في سـلك الدرر في أعيان القرن الثـاني عشر المطبوع، مع أن الطباخ صرَّح في(٦/ ٣٨٩) أن ما يذكره من تراجم هذا القرن بدون عزو فهو منه!.

متابعتهم في أمورهم الكبيرة والصغيرة

كانت الأسرة المسلمة تتابع أبناءها في أمورهم كلها، وتقدم لهم ما ينبغي أن يقدم من نصح وتوجيه، ولا تدع أي مناسبة تمضي دون عمل ما يفيدهم في حياتهم:

- فمن ذلك ما قاله العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم لابنه عبد الله(ت:٦٨هـ):

قال عبد الله: قال لي أبي: يا بني إني أرى أمير المؤمنين [عمر بن الخطاب] يقربك، ويخلو بك ويستشيرك مع ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحفظ عني ثلاثاً:

- اتق الله لا تفشين له سراً.

- ولا يجربن عليك كذبة.

- ولا تغتابن عنده أحداً.

قال عامر [الشعبي]: فقلت لابن عباس: كل واحدة خير من ألف. قال: نعم، ومن عشرة آلاف[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة(٢/ ٩٥٧) برقم(١٨٦٢)، و(٢/ ٩٧٠) برقم(١٩٠٥)، و(٢/ ٩٧٤) برقم(١٩١٩).

وفي العقد الفريد(١/ ٢٥): «وإني موصيك بخلال أربع» فذكر الثلاثة، وزاد:

- ولا تطوعنه نصيحة. =

إن هـذه الوصايا التي أوصى بهـا العباس ابنه من أعظم الوصايا التي تعين الإنسان على النجاح والفلاح في حياته العلمية، والوصول إلى خيري الدنيـا والآخرة، وهي وصايا رائعة جدير بكل من كان قريباً من صاحب قرار أن يتخلق بها ويتحلى بمضمونها.

- ومن ذلك: الوصايا الجميلة النثرية والشعرية، وهي كثيرة، وجديرة بالاهتمام، وأكتفي هنا بالتمثيل على ذلك:

* قال مِسْعَر بن كدام الكوفي(ت:١٥٣هـ) يوصي ابنه كداماً:

إني منحـتـك يـا كـــدام وصيتـــي فاسمعْ لقـول أبٍ عليـك شفيـقِ
أمـــا المزاحـــة والمـــراء فدعهمـــا خلقـــان لا أرضاهمـــا لصديـــقِ
إنـــي بلـوتهمـــا فلـــم أحمـدهمـــا لمجـــاور جـــارٍ ولا لرفيـــقِ
والجهـل يـزري بالفتـى وعمومُـــهُ وعروقُـهُ في النـاس أي عـــروقِ[1]

= وفي تهذيب الرياسـة وترتيب السياسة(ص:٦٨): «وإني موصيك بخلال[أربع]» ولكن فيها:

- ولا تخونن له عهداً. بدل: ولا يجربن عليك كذبة.

وفي إحيـاء علـوم الدين(٢/ ١٧٩) : «فاحفظ عني خمسـاً» فذكر الثلاثـة المذكورة في رواية الإمام أحمد وزاد:

- ولا تعصين له أمراً .
- ولا يطلعن منك على خيانة.

وينبغي أن يخص هذا الخبر بدراسة، وتشرح فيه هذه الوصايا الخمس، ويذكر أثرها، وتمجَّد مآثرها، ويستشهد لها بالأخبار والقصص المؤيدة المساندة، وذلك من أحسن ما يعتنى به لمصلحة النشء.

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية(١/ ١٩).

وقد اشتملت هذه الأبيات على وصايا بعيدة الأثر في الأبناء فمن القبيح جداً أن يكون الإنسان مزاحاً لا يعرف من حياته غير المزاح، مماريا لا يتقن من العلاقات الناجحة غير المراء، جاهلاً لا يعرف من العلم شيئاً أو جاهلاً في تصرفاته نزقاً لا يمسكه عقل ولا يردعه حلم.

* وقال الإمام أبو محمد علي ابن الوزير العالم الأديب أحمد ابن حزم(ت:٤٥٦هـ):

«أنشدني والدي الوزير في بعض وصاياه لي رحمه الله تعالى:

إذا شئت أن تحيا غنياً فلا تكن على حالةٍ إلا رضيت بدونها»

وقد وُصِفَ ابن حزم بما يدل على أنه انتفع بوصية والده له، فقد جاء في ترجمته أنه كان «زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدبير الممالك، متواضعاً»[1].

* وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي الداني(٤٦٠-٥٢٠هـ) - لما اشتد مرض موته - لولده عبد العزيز(٥٠٦ تقريباً-٥٤٦هـ):

عبد العزيز خليفتي ربُّ السماء عليك بعدي
أنا قد عهدت إليك ما تدريه فاحفظ فيه عهدي

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٣٢٥ و٣٢٨).

فـلئـن عمـلـت بـه فـإنـــ ـــك لا تـزال حلـيـف رشـد
ولئـن نـكثـت لقـد ضللـ ـت وقد نصحتُك حسب جهدي[1]

والتفات الأب وهو في مرض الموت إلى ابنه، وخطابه له مذكراً ورابطاً بـالله، وحاثاً له على الالتزام بما أوصاه بـه دليلٌ واضح على الاهتمام، وأنه أكثـر ما يشـغل باله وهو يـودِّع هذه الدنيا. ومن المهـم البحث عما أوصاه به.

- وللإمام تقي الدين السبكي(٦٨٣-٧٥٦هـ) وصية منظومة لولده محمـد حين توجه الإمام بصفـة قاضي وناظر الركب المـصري إلى الحجاز سنة ست عشرة وسبع مئة، قال في أولها:

أبنـي لا تهمـل نصيحتـي التـي أوصيك واسمعْ من مقالي ترشـدِ
احفظ كتابَ اللـه والسنن التـي صحت ، وفقـه الشافعـي محمـدِ
واعلـم أصـولَ الفقـه علماً محكماً يهديـك للبحث الصحيح الأيِّدِ
وتعلـم النحـوَ الذي يُدني الفتـى مـن كـل فهـمٍ في القـرانِ مسـددِ
وخـذ العلـومَ بهمـةٍ وتفطـن وقـريحـةٍ سمحـاء ذات تـوقـدِ

وهـي في «٦٣» بيتـاً[2]. ومـن النافـع أن يعمـل الآبـاء عـلى تحفيظها

---

(١) وفيات الأعيان(١/ ٢٤٦).

(٢) نشرهـا الأسـتاذ نظـام يعقوبي في المجموعـة الثانية من «لقاء العشر الأواخر بالمسـجد الحرام» وهذه الأبيات في (ص:١٥).

لأبنائهم[1].

- ومن المتابعة الدقيقة للأبناء ما فعله الإمام التابعي الجليل محمد بن واسع البصري(ت:١٢٠هـ)

فقد جاء عنه أنه رأى ابناً له وهو يخطر بيده - أي يمشي مختالاً - فقال: ويحك تعال، تدري مَنْ أنت؟ أمك اشترتيها بمئتي درهم، وأبوك فلا أكثر الله في المسلمين مثله. تمشي هذه المشية؟![2].

وهذا تصرفٌ تقصر عنه العبارة، وفيه تعليم رائع في التواضع، ودرسٌ عجيبٌ في أسلوب نزع الكبر من نفس من يتكبر. فرحم الله محمد ابن واسع، وأدبنا بأدبه.

---

(١) وانظر للتوسع في ذلك:
- أدب الوصايا في العصر الإسلامي للدكتورة سهام الفريح، وهو بحث منشور في مجلة المورد العراقية، المجلد ١٣، العدد ٣(١٩٨٤م) من ص٣-٢٨.
- وصايا الآباء إلى أولادهم عبر عشرة قرون: دراسة ونصوص، للأستاذة سناء ناجي المصرف (أخت المحقق المعروف الأستاذ هلال ناجي) دار الحرية للطباعة، بغداد(١٩٩٩م) في ٢٦٩ صفحة.
- المرشد المبين في أدب البنين «وصايا وحكم» بقلم محمد بن صالح بن سليمان الخزيم، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١(١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- أدب الوصية من الآباء للأبناء «مختارات من وصايا أندلسية مغربية موجهة للناشئة»: جمع وتحقيق الدكتور محمد بن عزوز. دار ابن حزم، بيروت، ط١(١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) في ٢٢٦ صفحة.
- نفائس الوصايا للدكتور أنس أحمد كرزون. دار نور للمكتبات، جدة، ط١(١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

(٢) صفة الصفوة(٣/ ٢٧٠).

- ومـن المتابعـة الدقيقـة للأبناء أيضاً مـا فعلته الأم الفاضلـة العاقلة الجليلة والدة جمال الدين القفطي العالم الأديب الوزير المشهور:

قـال ياقوت الحمـوي في ترجمـة القفطي(المولود سـنة: ٥٦٨ بقفط في مصر والمتوفى سنة٦٤٦ هـ بحلب):

«وحدثنـي - أطـال الله بقـاءه - قـال: كنـت وأنـا صبي قـد قدمت مـن «مصر» واسـتصحبت إلى «قفط» سـنوراً[1] أصبهانياً عـلى ما تقتضيه الصبوة، واتفق أن ولدت عدةً من الأولاد في دارنا، فنزل سنور ذَكَرٌ فأكل بعض تلك الجراء، فغمني ذلك وأقسمتُ أن لا بد لي من قتل الذي أكلها، فصنعت شركاً ونصبته في علية في دارنا وجلسـت، فإذا السنور قد وقع في الحبالة، فصعدت إليه وبيدي عكاز وفي عزمي هلاكه، وكان لنا جيرة وقد خـرب الحائط بيننا وبينهم، ونصبـوا فيه بارية إلى أن يحضر الصناع، وكان لرب تلك الدار بنتان لم يكن فيما أظن أحسن منهما صورةً وجمالاً، وشكلاً ودلالاً، وكانتـا معروفتين بذلك في بلدنا، وكانتا بكرين، فلما هممت بقتله إذا قـد انكشـف جانب الباريـة، فوقعتْ عيني على ما بهر المشـايخ فكيف الشبان حسناً وجمالاً، وإذا هما تومئان إلي بالأصابع تسألاني إطلاقه.

قال: فأطلقته ونزلتُ وفي قلبي منهن ما فيه لكوني كنت أول بلوغي[2]،

---

(١) أي هرّاً.

(٢) ومع ذلك لم يتزوج! انظر: العلماء العزاب(ص:١٤٣-١٤٥).
ترى هل لذلك علاقة بهذه القصة؟.

والوالدةُ جالسةٌ في الدار لمرضٍ كان بها، فقالتْ لي: ما أراك قتلته كما كان عزمك؟

فقلتُ لها: ليس هو المطلوب إنما هو سنور غيره.

فقالت: ما أظن الأمرَ على ذلك، ولكن بالله هل أومىء إليك بالأصابع حتى تركته؟[1].

فقلت: ومَنْ يُومىء إليَّ؟ لا أعرف معنى كلامك.

فقالت: على ذلك يا بني اسمعْ مني ما أقول لك:

ثنتان لا أرضى انتهاكهما عرس الخليل وجارة الجنبِ

وكان مع هذا البيت بيت آخر أنسيته.

قال: فو الله لكأنَّ ماءً وقع على نار فأطفأها، فما صعدتُ بعد ذلك إلى سطح ولا غرفة إلى أن فارقت البلاد، ولقد جاء الصيفُ فاحتملتُ حره، ولم أصعد إلى سطح تلك الصيفية. ثم وجدتُ هذا البيت في أبيات الأحوص بن محمد:

قالت - وقلت تحرَّجي وصِلي
حبلَ امرىءٍ كلِفٍ بِكُم صبِ -:
صاحِبْ إذن بعلي، فقلتُ لها:
الغدر أمرٌ ليسَ من شعبي

(١) انظر إلى هذه النباهة الرفيعة..

ثـنـتـان لا أصبـــو لوصلهمـــا

عـــرس الخلـــيـل وجـــارةُ الجنب

أمـــا الخليـل فلستُ خـائـنـــه

والجـــار أوصـانـــي بـــه ربـــي

الشـــوقُ أقـتـلـــه برؤيـتـكـــم

قتـــلَ الظمـــا بالبـاردِ العـذب»[1]

وقد اشتملت هذه الحكاية على فوائد غالية:

- فمنهـا: هـذه النباهـة والفراسـة والمتابعة والدقة مـن الأم، مع أنها كانت مريضة!!، وإن في تصرفها تعليماً رائعاً مهماً، أن تحسن الأمهات رقابة الأبناء والبنات، ويعرفن ويقرأن ما يدور بأذهانهم، وما يدور حولهم.

- ومنهـا: حياء الابن من أمه، إذ كتـم عنها ما رأى، ولم يفصح لها بما رأى وما اعتمل في نفسه من جراء تلك الرؤية.

- ومنهـا: عدم استرسـال الوالـدة في الحديث عن أمـر يحرج الابن، ويضطره إلى الكشف عن أمر يخدش الحياء تجاه والديه.

- ومنها: حسن تصرف الوالدة بذكر بيت شعر يلخص المطلوب من الابن في حق أسرته، وفي حق الجيران، وتذكيرها بهذا الحق الكبير.

- ومنها: ما تدل عليه من العلاقة الوثيقة بين الأم والابن والاحترام

(١) معجم الأدباء(٥/ ٢٠٢٣-٢٠٢٤).

الشـديد، والنصيحة المخلصة المؤثرة، بحيث كفى بيتُ شـعرٍ استشهدتْ بـه أن يطفـىء جمراً توقد بين جنبيه، وحمله عـلى تحمل حر الصيف، وعدم صعوده إلى السطح مرة أخرى.

ـ ومنها: استذكار الابن هذا الموقف وروايته له وهو في سن متقدمة، وجاه عريض، وشـواغل صارفة، فإنه يرويه لياقوت الحموي، وكان أول اجتماعهما في حلب سنة ٦٠٩ وللقفطي (٤١) سنة[1].

ـ ومنهـا: تتبع هذا البيت الشـعري الذي سـمعه الابـن من أمه حتى عرف قائله، والقصيدة التي ورد فيها، وهو يدل على حب الفائدة وتتبعها وحفظهـا. وعثور القفطي على البيت وفيـه شيء من الخلاف قد يدل على أن أمه حورت فيه ليلائم الموقف، فبدلاً من أن تقول:

ثنتان لا أصبو لوصلهما

قالت: ثنتان لا أرضى انتهاكهما. وهذا أشد وقعاً، وأكثر تحذيراً.

(١) انظر: إنباه الرواة (٤/ ٨١).

تعليمهم أدب الكلام

مما أبدعت فيه الأسرة المسلمة أيما إبداع، وسبقت فيه السابقين تعليم أبنائها أدب الكلام، في العلم والعمل، والدين والدنيا، والأخذ والرد، والبيع والشراء، وفي سائر أحوالهم، وأدب الكلام أدب رفيع، يأتي بين الآداب المطلوبة في الذروة، وله أثر عظيم في حياة الإنسان بكل تفاصيلها.

وقد كان للحديث عن اللسان في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع كبير، جدير بنا الاهتمام به، والتفتيش عنه، والحرص عليه.

وأَلَّف العلماءُ في ذلك مؤلفات مفردة قيمة، وتناولوا الموضوع في كتب جامعة أخرى، وتراثنا غنيٌّ بذلك غنىً ظاهراً.

والأسرة المسلمة وعت أهمية هذا السلوك في حياة أبنائها فأولته اهتماماً شديداً، وكانت تتابع الأبناء في ألفاظهم، وتدقق عليهم في ذلك، ليتعلموا وينتبهوا، ويحسنوا القول، ويحترزوا من مغبة التفريط، وهي على ذكر من قول لقمان لابنه ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ﴾[1].

(١) من سورة لقمان، الآية ١٩.

- فمـن ذلك ما جاء عن التابعي العالم الصالح المخبت الأجلِّ الربيع ابن خثيم، أحد أصحاب عبد الله بن مسعود،(ت سنة:٦٢هـ):

عـن الربيـع بن منذر قـال: «سـمعت أبي يقول: كان عنـد الربيع بن خثيم رهط فجاءته ابنته فقالت: يا أبتاه أذهب ألعب؟

فقال: اذهبي فقولي خيراً. غيرَ مرةٍ.

فقال القوم: أصلحك الله، وما عليك أن تقول لها [اذهبي والعبي].

فقال: وما عليَّ أن لا يكتب هذا في صحيفتي».

وثم رواية أخرى تكمل هذه الرواية وتشرحها:

عن أم الأسـود قالت: كانت ابنة الربيع بن خثيم تأتيه فتقول: يا أبتاه ائذن لي ألعب.

فيقول: يا بنية قولي خيراً.

فتلقنها أمها وتقول لها: قولي: أتحدث.

فيقـول الربيـع [إذا سـئل عـن ذلـك]: إني لم أسـمع الله رضِيَ لأحدٍ اللعبَ»[1].

فالربيع هذا التابعي الجليل المخبت الأثير عند عبد الله بن مسعود، لا

(١) صفة الصفوة(٣/ ٦٤).

يتساهل في هذا اللفظ، ولا يريد إقرار ابنته عليه، فقد كانت حياته كلها جداً، وهو يعلم أن لفظ (اللعب) جاء في القرآن في معرض الذم، فلا يقرهُ ولا يريد لأحد من أسرته أن يستعمله. وهذه دقة بالغة، ودرس عظيم لنا أن ننتبه لألفاظ أولادنا والمفردات التي يستعملونها في حياتهم اليومية، فلهذه المفردات أثر في سلوكهم، وهي دليل على سلوكهم أيضاً.

وموقف الربيع هذا نابع من حاله هو وتدقيقه في الملفوظات، فقد جاء عنه أنه قال لرجل: لا تلفّظ إلا بخير، فإن العبد مسؤول عن لفظه، يحصى ذلك عليه كله ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾[1].

وقال إبراهيم التميمي: أخبرني مَنْ صحب الربيع عشرين عاماً ما سمع منه كلمة تعاب[2].

- وجاء عن التابعي الجليل أحد فقهاء المدينة القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق(ولد سنة٣٦ أو ٣٨ وتوفي سنة: ١٠٨هـ) ما يأتي:

«عن سفيان قال: اجتمعوا إلى القاسم بن محمد في صدقةٍ قسمها وهو يصلي، فجعلوا يتكلمون- أي كأنهم يعترضون على القسمة-، فقال ابنه: إنكم اجتمعتم إلى رجلٍ واللهِ ما نال منها درهماً ولا دانقاً. فأوجز القاسم في صلاته ثم قال: يا بني، قل: فيما علمتُ.

(١) صفة الصفوة(٣/ ٦٧)، والآية من سوة المجادلة الآية٦.
(٢) صفة الصفوة(٣/ ٦٠).

قال سفيان راوي الخبر شارحاً مرادَهُ: صدق ابنه، ولكنه أراد تأديبه في النطق وحفظه»[1].

فالقاسم - رحمه الله - علَّم ابنه بهذا الموقف الاحتياط الذي يجب على المتكلم أن يراعيه، حين يتحدث عن أمور خفية في حياة الآخرين، وقد أوجز في صلاته ليضيف إلى عبارة ابنه هذا القيد المهم في الكلام، وهو «فيما علمتُ» فما أحسن أن يتحرز الإنسان في كلامه، وأن يحتاط لنفسه؟

ولم يكن هذا الموقف هو الموقف الوحيد من القاسم، بل كان يتابع ابنه دائماً، حتى وهو في لحظاته الأخيرة في هذه الدنيا، فقد أوصى ابنه أن يقتصد في كلامه عن أبيه، وأن لا يبالغ في حديثه وثنائه عليه.

قال رجاء بن أبي سلمة: مات القاسم بن محمد بين مكة والمدينة حاجاً أو معتمراً فقال لابنه [أي حين الموت]: سُنّ عليَّ التراب سنّاً، وسوِّ عليَّ قبري، والحقْ بأهلك، وإياك أن تقول كان وكان»[2].

فهو لا يريد له أن يملأ فمه بالحديث عنه والتفاخر به وبأعماله، وهذا درس كبير عظيم في التواضع وهضم النفس ونكران الذات - كما يقال اليوم - والبعد عن الفضول وتضخم الأنا، وهذه هي أخلاق السلف.

---

(١) صفة الصفوة(٢/ ٨٩).

(٢) صفة الصفوة(٢/ ٩٠).

واليـوم يعـاني كثير مـن أبناء العلـماء والصلحـاء من عقـدة التفاخر والتباهـي بسـلفهم، وقـد يتعـالى البعض على النـاس بذلك تعاليـاً ممقوتاً مذموماً، ولو سـلكوا سلوكهم وعملوا عملهم لتأدبوا بأدبهم، وتواضعوا كتواضعهم، وتركوا الناس يتحدثون عن مفاخرهم قبلهم.

وكان الآبـاء إذا عرفوا أحداً يتوقى في كلامه، ويراقب ربه فيما يقول، وجهوا أولادهم ليتعلموا منه هذا الخلق العالي.

- قال السليط بن بسطام التميمي:

قـال لي أبي: الـزم عبد الملك بن سـعيد بـن أبجر فتعلم منـه توقيه في الكلام، فما أعلم بالكوفة أشد حفظاً للسانه منه[1].

وكان عبد الملك من شدة التوقي يقول عنه مَنْ لا يعرفه: إنه عيي، وما به إلا شـدة التوقي، ولهذا كان إنما يتكلم بالمعاريض[2]، وهو من التابعين، توفي سنة(١٥٠هـ)[3].

- ومن ذلك ما فعله الإمام تقي الدين السبكي (ت:٧٥٦هـ):

قـال ولده تـاج الدين عبد الوهاب في كتابه الترشـيح: «كنت يوماً في

---

(١) صفة الصفوة(٣/ ١٢٣).

(٢) صفة الصفوة(٣/ ١٢٢-١٢٣) والمعاريض لون من التورية بالشيء عن شيء آخر.

(٣) انظر تاريخ الإسلام(٩/ ٢٠٩).

دهليـز دارنا في جماعـة، فمر بنا كلبٌ يقطـر ماءً يكاد يمـس ثيابنا، فنهرته وقلت: يا كلب يا ابن الكلب، وإذا بالشـيخ الإمام - يعني والده الشـيخ تقي الدين السبكي - يسمعنا من داخل، فلما خرج قال: لم شتمته؟ فقلت: مـا قلـت إلا حقاً، أليس هو بكلب ابن كلـب؟ فقال: هو كذلك، إلا أنك أخرجت الكلام في مخرج الشتم والإهانة، ولا ينبغي ذلك.

فقلـت: هـذه فائـدة، لا ينادى مخلـوق بصفتـه إلا إذا لم يخـرج مخرج الإهانة[1].

وهذه دقة عجيبة من الإمام تقي الدين إذ لحظ مخرج الكلام من ابنه، وجعـل من ذلـك فرصة لينصحـه، ويبين له حكـماً شرعياً رائعـاً في صفة النداء سواء كان لإنسان أو لحيوان!!

(١) الحاوي للفتاوي (١/ ٣٧٤)، وإتحاف السادة المتقين (٧/ ٥٥٦) باختصار.

العمل على تكوين شخصيتهم الاجتماعية

كانت الأسرة المسلمة حريصة على الاحتفاء بالأبناء حين ولادتهم، وعند ظهور مواهبهم، وتحقق بعض الإنجازات في حياتهم، مما يؤسس لشخصيتهم الاجتماعية، ويعرف بهم، ويكوِّن منزلة لهم، وكل ذلك نابع من الهدي الإسلامي الرشيد، وأضرب على ذلك بعض الأمثلة:

- جاء في ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي(ت: ٩٦هـ)، وهو أول مولود ولد بالبصرة ما يأتي:

«قال ابن سعد: نحروا جزوراً يوم مولده وهم بالخريبة[١]، فكفتهم، وكانوا قدر ثلاث مئة رجل»[٢].

فانظر إلى عقيقة يحضرها ثلاث مئة رجل، وكم في ذلك من الاهتمام والرعاية وإظهار الفرح بهذا المولود، والتعريف به!

هذا عند الولادة، فأما عند التعلم والحذق فقد وردنا هذا الخبر:

- قال عبد الله بن الحسن بن علي لأبيه: إن ابني فلاناً حذق[٣]، فقال

---

(١) الخربية: موضع بالبصرة. معجم البلدان(٢/ ٣٦٣).

(٢) تاريخ الإسلام(٧/ ١٤٤)، والطبقات الكبرى(٧/ ١٩٠).

(٣) جاء في لسان العرب(٤/ ٦٦): «الحِذق والحذاقة: المهارة في كل عمل ... قال أبوزيد: حذق الغلام القرآن والعمل ... مهر فيه ... ويقال لليوم الذي يختم فيه الصبي القرآن: هذا يوم حِذاقه».

الحسن(ت:٩٧هـ): كان الغلام إذا حذق قبل القوم نحروا جزوراً، وصنعوا طعاماً للناس[١].

إن نحر الجزور (الجمل)، وإطعام الناس، والاحتفاء بالغلام، يترك في نفسه من الآثار ما لا تمحوه الأيام.

(١) العيال(١/ ٤٨٩).

ربطهم بالله سبحانه وتعالى

أعظم شيء في هذه الدنيا أن يرتبط قلب الإنسان بربه، ويكون دائم المراقبة له، عظيم الخشية منه، موفور الحياء من حضرته.

وقد سعت الأسرة المسلمة إلى إيجاد هذا القلب العامر بالتقوى والمراقبة، وأذكر هنا بعض ما وردنا في ذلك:

- من أئمة المسلمين صاحب التصانيف الكثيرة أبو عبد الرحمن السلمي: محمد بن الحسين(٣٢٥-٤١٢هـ):

هذا الإمام فرح به أبوه لما ولد جِدّاً، فقد باع ما عنده وتصدق به[١]، وهذا أولى درجات الربط بالله سبحانه.

وقالت له أمه حين توجهه إلى الحج: توجهت إلى بيت الله، فلا يكتبن عليك حافظاك شيئاً تستحي منه غداً[٢].

فلننظر إلى عظم هذا القول، وسداد هذا التوجيه!

ولإقامة الرابطة بالله تعالى على أسس متينة فقد كانوا يتابعونهم في شأن صلاتهم، ويسألونهم عنها:

- جاء عن التابعي القاضي شريح بن الحارث (ت:٧٦هـ) أنه افتقد

---

(١) مقدمة طبقات الصوفية(ص:١٧) والمحقق ينقل من نفحات الأنس من حضرات القدس للجامي باللغة الفارسية، وقد طبعت النسخة المترجمة إلى العربية، انظر(١/ ٤٤٤).

(٢) سير أعلام النبلاء(١٧/ ٢٤٩).

ابناً لـه، فبعـث في طلبه، فقـال لطالبه: أيـن وجدته؟ فقـال: كان يهارش بالكلاب، فقال له: صليت؟ قال: لا. فقال للرسول: اذهب به إلى المؤدب في الكُتّاب وقل له:

تَرَكَ الصلاةَ لأكلبٍ يسعى لها طلب الهراش مع الغواة النُحَّسِ
فإذا أتاك فعضــه بملامــةٍ وعظنه موعظةَ الأديب الكيِّـسِ
وإذا هممتَ بضربــه فبدرة وإذا ضربت بهـا ثلاثـاً فاحبس
واعلمْ بأنك ما أتيتَ فنفسُه – مع ما يجرِّعني – أعزُ الأنفس[1]

وكانوا يعلمونهم كيف يصلون:

– **عـن معاوية بن قرة قـال**: قال معاذ بن جبـل (ت:١٨هـ) لابنه: يا بنـي إذا صليت فصـلِّ صلاة مودِّع لا تظـن أنك تعود إليها أبـداً، واعلم يابني أن المؤمن يموت بين حسنتين، حسنة قدمها، وحسنة أخرها[2].

وكانـوا يحثونهم على قيام الليل، وقد ورد عنهم في ذلك هذه الأخبار والصور:

– **كان علي زين العابدين بن الحسين(ت:٩٤هـ) يقوم بالليل ويقول:** يـا بني ليـس هذا عليكم بواجب، ولكن أحب لمن عوَّد نفسـه منكم عادة من الخير أن يدوم عليها[3].

---

(١) صفة الصفوة(٣/ ٣٩-٤٠)، ونظرت إلى عبارة حلية الأولياء(٤/ ١٣٦).
(٢) صفة الصفوة(١/ ٤٩٦).
(٣) صفة الصفوة(٢/ ٩٥).

- وقال عبد الرحمن ابن التابعي الجليل الصالح زييد بن الحارث اليامي(ت:١٢٢هـ):

«كان زبيد - يعني أباه - قد قسم علينا الليل أثلاثاً، ثلثاً عليه، وثلثاً عليَّ، وثلثاً على أخي.

فكان زبيد يقوم ثلثه، ثم يضربني برجله، فإذا رأى مني كسلاً قال: نم يا بني فأنا أقوم عنك.

ثم يجيء إلى أخي فيضربه برجله، فإذا رأى منه كسلاً قال: نم يا بني فأنا أقوم عنك. فيقوم حتى يصبح[1].

- وكان سليمان بن طرخان(ت:١٤٣هـ) وابنه المعتمر يدوران بالليل في المساجد فيصليان مرة في هذا المسجد، ومرة في هذا حتى يصبحا[2].

- وجاء عن زمْعة بن صالح الجَنَدي المكي ما يأتي:

عن القاسم بن راشد الشيباني قال: كان زمعة نازلاً عندنا، وكان له أهل وبنات، وكان يقوم فيصلي ليلاً طويلاً، فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته:

يا أيها الركبُ المعرِّسونا أكلَّ هذا الليل ترقدونا

ألا تقومون فترحلونا

---

(١) صفة الصفوة(٣/ ٩٨).

(٢) صفة الصفوة(٣/ ٢٩٦).

فيتواثبون، فيُسمع من هاهنا باكٍ ، ويسمع من هاهنا داعٍ، ومن هاهنا قـارىء، ومـن هاهنا متوضىء، فـإذا طلع الفجر نادى بأعـلى صوته: عند الصباح يحمد القومُ السُرى[1].

- وقـال إبراهيـم ابـن الإمـام وكيع بن الجـراح الكوفي (تـوفي وكيع سنة١٩٧هـ):

كان أبي يصلي الليل، فلا يبقى في دارنا أحد إلا صلى، حتى إن جارية لنا سوداء تصلي[2].

- وقال الإمام تاج الدين السبكي في ترجمة والده الإمام تقي الدين:

«كان الشـيخ الإمـام - رحمـه الله - ينهانا عـن نوم النصـف الثاني من الليـل، ويقـول لي: يـا بني تعوَّدْ على السـهر ولو أنك تلعـب، والويل كل الويل لمن رآه نائماً وقد انتصف الليل...»[3].

- ومن ذلك ما يحكيه الأديب مصطفى صادق الرافعي (ت:١٣٥٦هـ) عـن أبيه الذي كان كبير القضاة الشرعيـين في دمنهور«بمصر»، وكان من عادته أن يعتكف كل سـنة في أحد المساجد عشرة الأيام الأخيرة من شهر رمضان.

---

(١) صفة الصفوة(٢/ ٢٢٩-٢٣٠).

(٢) صفة الصفوة(٣/ ١٧١).

(٣) طبقات الشافعية(١٠/ ١٧٧)، وانظر(١٠/ ٢٠٣).

يقـول الرافعي: «وذهبت ليلة - وكان حينهـا في العاشرة من العمر - فبت عند أبي في المسجد، فلما كنا في جوف الليل الأخير أيقظني للسحور، ثم أمرني فتوضأت لصلاة الفجر، وأقبل هو على قراءته، فلما كان السَّـحرُ الأعـلى هتـف بالدعـاء المأثـور...»، ويسترسـل الرافعـي في وصف هذه السـاعة ومـا فيها من صفاء وصـلاة وتلاوة وصفاً عجيبـاً ... وذلك قبل موته بثلاثة أشـهر ... مما يدل على أثر تلك الليلة في نفسـه طَوال عمره ... ولا أسـتبعد أن مبيتـه عند أبيـه كان بتخطيط منه ... ومهـما يكن فقد كان لإيقاظـه ابنه وأمـره بالوضوء والصلاة ما يدلنا على حسـن رعايته وجميل غايته[1].

وكانوا يذكِّرونهم بالموت، والقدوم على الله تعالى:

- **فقد جاء عن أم ضغيم بن مالك**،أنها قالت له ذات يوم: ضيغم!

قال: لبيكِ يا أماه.

قالت: كيف فرحك بالقدوم على الله؟

فصاح صيحة لم يسـمعه أهلُه صاح مثلها قط، وسـقط مغشـياً عليه، فجلسـت أمه تبكي عند رأسـه وتقول: بأبي أنتَ ما نسـتطيع أن نذكر بين يديك شيئاً من أمر ربك[2].

---

(١) انظر لزاماً «قرآن الفجر» في: وحي القلم(٣/ ٢٨-٣١).

(٢) صفـة الصفـوة(٣/ ٣٥٨)، وثـم روايتـان أخريـان تسـأله فيهما عن المـوت هل يحبه؟ فانظرهما.

ومن ذلك وصيتهم لهم أن يكون فرحهم بالله سبحانه:

- قالت أم أحمد بنت عائشة بنت الشيخ أبي عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري النيسابوري(ماتت عائشة سنة ٣٤٦هـ):

قالت لي أمي: لا تفرحي بفان، ولا تجزعي من ذاهب، وافرحي بالله عز وجل، واجزعي من سقوطك من عين الله عز وجل.

وقالت لي: الزمي الأدب ظاهراً وباطناً، فما أساء أحد الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهراً، ولا أساء أحد الأدب باطناً إلا عوقب باطناً[1].

وكانوا يُحضرونهم مجالس ختم القرآن الكريم لتعود عليهم بركة ذلك:

- قال محمد ابن العالم الزاهد المرابط زهير بن محمد بن قمير المروزي البغدادي(توفي سنة ٢٥٧هـ):

كان أبي يجمعنا في وقت ختمة القرآن في شهر رمضان، في كل يوم وليلة ثلاث مرات، تسعين ختمة في شهر رمضان[2].

وكانوا إذا وقع أمر فيه عبرة، ودلالة على ورع وزهد وخوف من الله تعالى لفتوا أنظار أبنائهم إليه، ليعوه ويتعلموه ويحدِّثوا به.

---

(١) صفة الصفوة(٤/ ١٢٥).

(٢) صفة الصفوة(٢/ ٤٠٠).

- قال الحسين بن محمد بن عبيد العسكري:

أُريـد أبو عـلي ابن خيران - العالم الجامع بين الفقـه والورع المتوفى في حدود(٣٢٠هـ) - أريـد لمنصب قضاء القضـاة، فامتنع، فـوكل علي بن عيسـى الوزير بباب داره حرَّاسـاً، فشـاهدت الموكلين ببابه، وختم الباب بضعـة عشر يوماً - وهـو لا يظهر- فقال لي أبي: يا بنـي انظر حتى تحدِّث بهذا إن عشتَ، إن إنساناً فُعِل هذا به ليلي القضاء فامتنع. وكُلِّم الوزير فيه فأعفاه[1].

فمحمـد بـن عبيـد العسـكري يريد مـن ابنه أن يعـي هـذه الحادثة، ويحفظها، ويتحدث بها، ومن وراء هذا أن يستفيد منها هو في أن لا يترامى عـلى المناصب، ويذهب عمـره في طلبها والحرص عليها والقتال من أجل الوصول إليها...

وكان مـن منهج السـلف كتمان عبادتهم النافلـة وكتمان حالهم مع الله تعـالى كتماناً شـديداً، ولكنهم كانوا يظهرون عبادتهـم وحالهم لأولادهم ولا سيما عند الموت، ويخيل لي أن هذا كان منهم عن قصد، وهو تعليمهم وتحفيزهـم ليقتدوا بهم ويسـيروا على طريقهم، وأذكر مـن هذا ما وقفت عليه، وأبدأ بـ:

---

(١) صفة الصفوة(٢/ ٤٥٠).

١- التابعي الربيع بن خثيم (ت:٦٢هـ):

قالت له ابنته: يا أبتاه ما لي أرى الناس ينامون ولا تنام؟ قال: إن جهنم لا تدعني أنام.

وفي رواية: يا بنية إن أباك يخاف البيات[١] أي أن يؤخذ وهو نائم.

٢- وعن الشعبي قال: غُشي على مسروق بن الأجدع الهمداني الكوفي (توفي سنة ٦٣هـ) في يوم صائف وهو صائم. فقالت له ابنته: أفطر. قال: ما أردتِ بي؟ قالت: الرفق. قال: يا بنية إنما أطلب الرفق لنفسي في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة[٢].

٣- ودعا سعيد بن جبير ابنه حين دُعي ليقتل (سنة٩٥) فجعل ابنه يبكي، فقال: مايبكيك ؟ ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة؟[٣] فهو يكشف عن حاله في الرضى عن الله، ويعلِّمه هذا الحال.

٤- وقال محمد بن ثابت البناني: ذهبتُ ألقَّن أبي وهو في الموت (توفي بعد ١٢٠هـ) فقلت: يا أبة، قل: لا إله إلا الله. فقال: يا بني خل عني فإني في وردي السادس أوالسابع[٤].

---

(١) صفة الصفوة(٣/ ٦٣-٦٤).

(٢) صفة الصفوة(٣/ ٢٦).

(٣) صفة الصفوة(٣/ ٨٠).

(٤) صفة الصفوة(٣/ ٢٦٣).

٥- **وقال حسين بن عمرو العنقزي**: لما نزل بعبد الله بن إدريس الموت، بكت ابنته، فقال: لا تبكي فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة[١].

وعبد الله بن إدريس حافظ ورع زاهد، توفي سنة(١٩٢).

٦- **وقال إبراهيم بن أبي بكر بن عياش**: بكيت عند أبي حين حضرته الوفاة. فقال: ما يبكيك؟ أترى الله يضيع لأبيك أربعين سنة، يختم القرآن كل ليلة[٢]، وتوفي أبو بكر سنة(١٩٣هـ).

٧- **وعن أبي بكر النيسابوري قال**: حضرت إبراهيم بن هانىء - العالم العابد - عند وفاته - توفي سنة (٢٦٥هـ) - فقال لابنه إسحاق: أنا عطشان. فجاءه بماء. فقال: غابت الشمس؟ قال: لا. قال: فرده. ثم قال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾[٣] ثم خرجت روحه[٤].

وفي رواية أخرى أن الابن قال له: يا أبة رُخِّص لك في الإفطار في الفرض، وأنت متطوع. قال: امهل...[٥].

وكانوا يعلمونهم الدعاء الذي يربطهم بالله دائماً:

---

(١) صفة الصفوة(٣/ ١٧٠).

(٢) صفة الصفوة(٣/ ١٦٦).

(٣) من سورة الصافات، الآية٦١.

(٤) صفة الصفوة(٢/ ٤٠١).

(٥) السابق.

أ- قال شيخنا الأستاذ الشيخ أبو الحسن الندوي(ت:١٤٢٠هـ) رحمه الله تعالى:

«ولما بدأت أشدو وأكتب نصحتني والدتي، وأكدت الأمر بأن أبدأ كلَّ ما أكتب بـ: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم آتني بفضلك أفضل ما تؤتي عبادك الصالحين.

وقد بقي ذلك عادتي ودَيْدني مدةً من الزمان، ولا أزال أذكر في مناسبات كثيرة هذه الكلمات الصالحات»[١].

ومن الجميل أن تقرأ سيرة هذا الشيخ الجليل، لتنظر كيف آتاه الله بفضله أفضل ما آتى عباده الصالحين. هذا في الدنيا، والأمل بالله أن يؤتيه ذلك في الآخرة، لقاء ما قدَّم لدينه وأمته[٢].

---

(١) في سيرة الحياة(١/ ٧٥).

(٢) كتب عن الشيخ الكثير، ومن ذلك - غير ما كتبه هو في كتابه: في سيرة الحياة -:

١- أبو الحسن علي الحسني الندوي الإمام المفكر الداعية الأديب للسيد عبد الماجد الغوري، ط دار ابن كثير بدمشق، ط١(١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

٢- أبو الحسن علي الحسني الندوي الداعية الحكيم والمربي الجليل للأستاذ محمد اجتباء الندوي، ط دار القلم بدمشق، ط١(١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).

٣- الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته للعلامة يوسف القرضاوي، ط دار القلم بدمشق، ط١(١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

٤- الشيخ أبو الحسن الندوي: بحوث ودراسات أُعدت بمناسبة تكريمه في المؤتمر الرابع للهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية سنة(١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) المنعقد في استانبول، مكتبة العبيكان، ط١(١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، في (٦٣٢) صفحة.

٥- أبو الحسن الندوي العالم المربي والداعية الحكيم للأستاذ محمد أكرم الندوي، ط دار القلم بدمشق، ط١(١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).

وفي هـذا المجال يطيـب لي أن أورد أبياتاً جميلة عن كينونة الأولاد مع الله وغناهـم به للشـيخ الداعية الجليل معوض عوض إبراهيم، سـمعتها منـه، وقرأتهـا في كتابـه النافع «الأولاد ودائـع الله عندنا»، وأنـا أنقلها مع تقديم الشـيخ لهـا إذ يقول: «ومعـذرة وأنا أورد هنا خاطـراً طاف بي وأنا في قطـر مـن أقطار أمتنا الإسـلامية في ليلـة كنت أعكف فيهـا على كتاب الله أتلـوه وأتأملـه، فلـما بلغت من قـراءتي قول الله على لسـان زكريا عليه السـلام: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾(الأنبياء:٨٩) تذكرت أولادي، وكنت نازحَ الدار بعيدَ المنزل منهم فقلت:

لا تذرنـي يا ربِّ فرداً وهَبْ لـي ... في بنـيّ الهـدى وغالـي النجابـه

إنهـم ثروتـي وأَزْري فدعهـم ... من شباب الإسـلام بين الذؤابـه

يحفظونَ العريـنَ والديـن مـا عا ... شـوا ويحيـون في كمال الصحابـه

ليس يُغلـي بنـيَّ عنـديَ إلا ... أن يكونوا في الحـق أُسْـدَ الغابـه

وسـواءٌ علـيَّ بعـدُ أخلفـ ... ـت ثراءً أم رحتُ دون صُبابـه

فغنـاهُـمْ بالله يُسْعِـدُ قلبـي ... وأرى مـا سـواه عدل ذبابـه»[1]

(١) الأولاد ودائـع الله عندنـا (ص:٣٨-٣٩). وقد أكرمني الله بزيارة الشـيخ في منزله في القاهـرة مسـاء السـبت ٢٥/ ٥/ ١٤٣١، بصحبة إخـوة أعزاء، وتفضـل بإهداء هذا الكتاب، ووشـاه بإهداء جميل بخطه - مع أنه غير ممتع بالبصر الآن -، والشـيخ أكبر خريج أزهري اليوم، فهو من مواليد سنة١٣٣٢، حفظه الله وبارك في وجوده.

وهي – كما نرى – أبيات تقطر عاطفة وحباً، وتفيض بالمعاني السامية الرفيعة، وما أحسن أن يفضِّل الآباء غنى الأبناء بالله على كل أنواع الغنى، فهذا غنى دائم، وذاك غنى موهوم زائل.

إعانتهم على سبل الخير

إن الأبناء أحوج ما يكونون إلى الإعانة على سبل الخير، والعمل بالعلم، والقيام بحق العلم والدين، وكان للأسرة المسلمة في ذلك آثار معجبة مدهشة، أذكر منها هذا الخبر الدال:

كان الصحابي الجليل عتبة بن فرقد يتولى الولايات، ويجتهد بابنه عمرو أن يدخل معه ويعينه في ذلك، فلا يفعل زهداً في الدنيا، وإقبالاً على الآخرة.

ومن أخباره في ذلك أن أباه عتبة – رضي الله عنه – قال لصديقه عبد الله بن ربيعة: يا عبد الله ألا تعينني على ابن أخيك – يقصد ابنه عمراً– وتكلمه في أن يعينني على ما أنا فيه من عمل؟

فقال له عبد الله: يا عمرو أطع أباك. فنظر عمرو إلى الرجل العابد الزاهد معضد العجلي[1] وكان جالساً معهم، فقال له معضد وقد فهم سر تلك النظرة: لا تطعهم واسجد واقترب. ومن الواضح أن معضداً رأى همة عمرو في العبادة وإقباله على مولاه فأراد له المضي في ذلك. فقال عمرو: يا أبت إنما أنا عبد أعمل في فكاك رقبتي من النار، فدعني أعمل في ذلك. فبكى والده متأثراً بقول ابنه وقال: يا بني إني لأحبك حبين: حباً

(١) انظر ترجمته في صفة الصفوة(٣/ ٤٣) وغيره.

لله، وحب الوالده لولده.

وكانت عتبة قد أتاه بمال كثير، فقال له عمرو: يا أبت إنك قد كنت أتيتني بمالٍ قد بلغ سبعين ألفاً، فإن كنت سائلي عنه فهو ذا فخذه، وإلا فدعني فأمضيه وأصرفه في مصارفه.

فقال له عتبة: فأمضه كما شئت. فأمضاه فما بقَّى منه درهماً[1].

وقد ختم الله لعمرو بالشهادة فارجع إلى سيرة حياته واقرأها فهي سيرة عاطرة[2].

(١) حلية الأولياء(٤/ ١٥٩)، وتاريخ الإسلام(٥/ ٤٩٤) وفيه (٥/ ٤٩٥-٤٩٦) أنه من «طبقة أبي وائل وشريح وعلقمة ومسروق، والقدماء من حيث الوفاة»، والمنتظم(٤/ ٣٤٩) وذكره في وفيات سنة ٢٥هـ. وقد تصرفت في النقل.

(٢) انظر كذلك: صفة الصفوة(٣/ ٦٨-٧٢).

تلبية متطلبات الفطرة والغريزة

وعت الأسرة المسلمة أهمية هذا الجانب في التربية فأولته كامل اهتمامها، وبادرت إليه، وبذلك حصنت الأبناء من شر مستطير، وداء وبيل.

- **قال سعيد بن العاص(ت:٥٨هـ):**

إذا عَلَّمْت ولدي القرآن، وحججته، وزوجته، فقد قضيت حقه، وبقي حقي عليه[١].

- **وقال عبد الله بن عباس (ت:٦٨هـ) رضي الله عنهما:**

مَنْ رزقه الله ولداً فليحسن اسمه، وتأديبه، فإذا بلغ فليزوجه[٢].

- **وقال الإمام قتادة بن دعامة السدوسي(ت:١١٧هـ):**

كان يقال: إذا بلغ الغلام فلم يزوجه أبوه فأصاب فاحشة أثم الأب[٣].

- **وقال الإمام سفيان الثوري(ت:١٦١هـ):**

كان يقال: حق الولد على والده أن يحسن اسمه، وأن يزوجه إذا بلغ،

---

(١) العيال(١/ ٣٣٤)

(٢) العيال(١/ ٣٣١ و٤٨٣).

(٣) العيال(١/ ٣٣٣).

وأن يحججه، وأن يحسن أدبه[1].

إن في الزواج المبكر فوائد كثيرة، وفيه قضاء على فساد كبير، وضياع كثير، واشتغال القلب بمتطلبات الغريزة يشتته ويصده عن الاشتغال بالعلم وطلبه وتحصيله وتنميته إلا ما شاء الله.

واليوم أصبح للزواج قيود ورسوم، وأصبح التبكير به نادراً، ولا يستطيعه من أراده، والله المستعان.

(١) العيال(١/ ٣٣٢).

بِرُهم ورعاية مشاعرهم

كان الآبـاء يعاملـون أبناءهـم بالـبر واللطـف، ورعاية مشـاعرهم، وتطييب نفوسهم، وإدخال السعادة على قلوبهم، كما يحبون أن يعاملوهم، وهذا قمة العدل والشعور بالمسؤولية وتنمية الشخصية، وتأمل هذا الخبر المعجب:

- قال يحيى بن يمان: خرجت إلى مكة، فقال لي سعيد بن سفيان[الإمام الحافـظ الكبير الثوري الكوفي]: أقرىء أبي السـلام وقل له يقدم. فلقيني سفيان بمكة فقال: ما فعل سعيد؟ قلت: صالح[1]، وهو يقول لك: اقدم. فتجهز للخروج وقال: إنما سموا الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء[2].

وهذا القول رواه الإمام البخاري بسنده عن الصحابي الجليل عبدالله ابن عمر قال: إنما سماهم الله أبراراً لأنهم بروا الآباء، كما أن لوالدك عليك حقاً، كذلك لولدك عليك حق[3].

وهذا قول رائع فيه إنصاف للطرفين، وتوزيع للحقوق بلا مَيْن، ولو استشـعر الأب والابـن أن عـلى كل واحدٍ منهـما حقاً، ولـكل منهما حقاً، وأدى كل منهما ما عليه، لرأينا أسراً متماسـكة سعيدة، وعلاقات متشابكة سديدة، وسروراً يخيم على البيوت، وأنساً يفترش القلوب.

---

(١) أي هو بخير..

(٢) انظر العيال(١/ ٣٢٢)، والجرح والتعديل(١/ ١٢٥) باب ما ذكر من بر سفيان لأبيه! [كذا والصواب:لابنه]،وحلية الأولياء(٧/ ٨١).

(٣) الأدب المفرد(ص:٤٧) برقم(٩٤) باب بر الأب لولده.

هـذا، وقد قـال الإمام ابن عبـد البر الأندلسي(ت:٤٦٣هـ) بعد أن قال: «وبر الوالدين فرض لازم» وذكر صور البر:

«وحـقٌ عليهـما - أي الوالديـن - أن يعيناه على برِّهمـا بلين جانبهما، وإرفاقـه بـذات أيديهما، فما وَصَلَ العبـاد إلى طاعـة الله، وأداء فرائضه إلا بعونه لهم على ذلك»[1].

وهذا تشبيه لطيف، فكما أن العباد لا يصلون إلى طاعة الله إلا بعونه، فكذلـك الأولاد لا يصلـون إلى الـبر المطلـوب إلا بعـون الوالديـن لهم، ومساعدتهم، وتقدير ظروفهم وأحوالهم.

ومـمـن يضرب به المثل فيـما ينبغي أن يكون عليه البر ورعاية المشـاعر التابعـي الجـواد الصالح محمد بن سـوقة الكوفي، فقد جـاء عنه أن ابن أخ له طلب منه شـيئاً، فبكى، فقال له: والله يا عم لو علمت أن مسـألتي تبلغ منك هذا ما سألتك.

قال: ما بكيت لسؤالك، إنما بكيت لأني لم أبتدئك قبل سؤالك[2].

فـأي قلب رقيق كان بـين جوانح هذا الرجل، بحيث بكى لشـعوره بتقصيره عن بر ابن أخيه، وعدم مبادرته إلى ذلك؟.

---

(١) الكافي في الفقه على مذهب أهل المدينة(٢/ ٥٥٩).
(٢) صفة الصفوة(٣/ ١١٧).

تعليمهم اختيار الأصدقاء

كان من هم الأسرة المسلمة اختيار الأصحاب للأبناء، ولننظر في هذه الوصية الرائعة التي وصى بها عليٌّ زين العابدين (ت:٩٤هـ) ابنه محمد الباقر.

قال محمد الباقر: أوصاني أبي قال:

لا تصحبن خمسةً ولا تحادثهم، ولا ترافقهم في طريق.

قلت: جُعلتُ فداءك يا أبت مَنْ هؤلاء الخمسة؟

فقال:

- لا تصحبن فاسقاً، فإنه يبيعك بأكلة فما دونها.

قلت: يا أبة وما دونها؟

قال: يطمع فيها ثم لا ينالها.

قلت: يا أبة ومن الثاني؟

قال: لا تصحبن البخيل، فإنه يقطع بك في مالِهِ أحوج ما كنت إليه.

قلت: يا أبة ومن الثالث؟

قال: لا تصحبن كذاباً، فإنه بمنزلة السراب، يبعد منك القريب، ويقرّب منك البعيد.

قلت: يا أبة ومن الرابع؟

قال: لا تصحبن أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرّك.

قلت: يا أبة ومن الخامس؟

قال: لا تصحبن قاطع رحم فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع[1].

وهـذا الموضـوع في غايـة الأهميـة، ولعلي أعـود إليه في فرصـة قادمة فأبسط فيه الكلام، ومن الله العون.

(١) صفة الصفوة(٢/ ١٠١).

تضافر جهود الأسرة والأقارب على هذه الرعاية

لم تكن العناية بالأبناء مقصورة على الوالدين فحسب، بل كان الأقارب يشاركون في ذلك مشاركة فعالة ملحوظة، وقد كانت هناك جهود للأخوال والأعمام والخالات والعمات، وأبنائهم، وأشير إلى نماذج من ذلك فأقول:

- قال ابن كثير في ترجمة القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت:١٠٧هـ):

- «كان أحد الفقهاء المشهورين، له روايات كثيرة عن الصحابة وغيرهم، وكان من أفضل أهل المدينة، وأعلم أهل زمانه، قُتل أبوه بمصر وهو صغير، فأخذته خالته، فنشأ عندها، وساد، وله مناقب كثيرة»[(١)].

- **وقال مصعب الزبيري**: سمعت مالك بن أنس قال لابني أخته: أبي بكر وإسماعيل ابني أبي أويس:

أراكما تحبان هذا الشأن وتطلبانه؟ قالا: نعم، قال: إن أحببتما أن تنتفعا به، وينفع الله بكما، فأَقِلَّا منه، وتفقها[(٢)].

---

(١) البداية والنهاية(٩/ ٢٥٠).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه(٢/ ١٥٩) تحت عنوان «وليعلم أن الإكثار من كتب الحديث وروايته لا يصير به الرجل فقيهاً، وإنما يتفقه باستنباط معانيه، وإنعام التفكير فيه».

- ومن المشهور خبر الإمام سهل بن عبد الله التستري (ت: ٢٨٣هـ):

قال القشيري: «قال سهل: كنت ابن ثلاث سنين وكنت أقوم بالليل، أنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوّار، وكان يقوم بالليل، فربما كان يقول: يا سهل اذهب فنم فقد شغلت قلبي...، وقال لي خالي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ فقال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك، ثلاث مرات من غير أن تحرِّك به لسانك: الله معي، الله ناظر إليَّ، الله شاهد عليَّ. فقلت ذلك ثلاث ليالٍ، ثم أعلمتُه، فقال لي: قل في كل ليلة سبع مرات. فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة إحدى عشرة مرة. فقلت ذلك فوقع في قلبي له حلاوة.

فلما كان بعد سنة قال لي خالي: إحفظ ما علمتك ودُمْ عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه سينفعك في الدنيا والآخرة. فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لها حلاوةً في سرّي.

ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل من كان الله معه، وهو ناظر إليه، ومشاهده أيعصيه؟! إياك والمعصية»[1].

---

(١) الرسالة القشيرية(ص:٥٧-٥٨)، ومرآة الجنان(٢/ ٢٠٠).

ومن ذلك ما جاء في تراجم هؤلاء العلماء:

- الإمام الحافظ أبو يعلى الموصلي(ت:٣٠٧هـ):

جاء عنه أنـه ارتحل في حداثته إلى الأمصار، باعتناء أبيه، وخاله محمد ابن أحمد بن أبي المثنى، ثم بهمته العالية[١].

- محدث إسفرايين أبو محمد الحسن بن محمد الإسفراييني (ت:٣٤٦هـ):

قال الذهبي: «رحل مع خاله الحافظ أبي عوانة فسمع أبا مسلم الكجي وطبقته»[٢].

- الإمام أبو بكر الجوزقي(ت:٣٨٨هـ):

قال السبكي: «كان أبو بكر أحد أئمة المسلمين، علماً، وديناً، وكان محدِّث نيسابور، وابن أخت محدثها أبي إسحاق إبراهيم بن محمد المزكِّي.

روى عن ... أبي العباس الدَّغُولي، رحل إليه مع خاله إلى سَرَخس»[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء(١٤/ ١٧٤).

(٢) العبر(٢/ ٢٧٧).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى(٣/ ١٨٤)، وفي معجم البلدان(٢/ ١٨٤)، «ورحل به خاله أبو إسحاق المزكي»، وقال الذهبي في العبر(٢/ ١٧٥): «اعتنى به خاله أبو إسحاق المزكي».

- أحمد بن محمد أبو المكارم الصيرفي المعروف بابن القديسي (ت:٤٢٩هـ):

قال الخطيب: «أحد أصدقائنا، وممن كان يسمع معنا، وهو ابن أخت أبي القاسم الأزهري، بكّر به خاله في سماع الحديث، من الحسن بن القاسم الدباس ... وسمعه أيضاً من أبي الحسن ابن الصلت المجبر، وأبي أحمد الفرضي، وأبي الحسين ابن المتيم، وأبي عمر ابن مهدي، وأبي الحسين ابن المحاملي، ومن بعدهم ...»[١].

- أحمد بن عبد الملك أبو نصر القطان المعروف بابن الحواجبي (ت:٤٤٨هـ):

قال الخطيب: «هو ابن أخت أبي القاسم الأزهري، بكَّر به خاله في السماع من أبي حفص الكتاني، وأبي الحسين ابن حمه الخلال، وأبي القاسم ابن الصيدلاني، وابن الصلت المجبِّر ونحوهم»[٢].

- المبارك بن علي أبو عبد الله البغدادي(٤٨٩- ؟)

سبط أبي الحسين أحمد بن عبد القادر بن يوسف:

قال ابن عساكر: «سمع ببغداد بإفادة خاله أبي الفرج

(١) تاريخ بغداد(٥/ ٨٩).
(٢) تاريخ بغداد(٤/ ٢٦٧).

عبد الخالق بن أحمد أبا سعد محمد بن عبد الملك بن عبد القاهر الأسدي، وأبا الحسن علي بن محمد بن محمد بن علي العلاف المقرىء، وأبا الحسن حمد بن إسماعيل بن حمد الهمداني ، وأبا الغنائم محمد بن علي ابن ميمون النرسي وغيرهم»[1].

- الشيخ الفاضل المؤدِّب مسند هراة تميم بن أبي سعيد الجرجاني (ت: ٥٣٠هـ أو التي بعدها):

قال الذهبي بعد أن ذكر شيوخه: «انتهى إليه بهراة علو الإسناد، كان قد اعتنى به خاله الحافظ عبد الله بن يوسف[٤٠٩ - ٤٨٩]، فسمَّعه بنيسابور من المذكورين»[2].

- محمد بن عبد الله بن محمد الغرناطي المقرىء المعروف بابن الغاسل (ت: بعد ٥٧٠هـ):

قال ابن الأبار في ترجمته: «سمع أبا عبد الله النميري، وصحبه طويلاً، وهو علَّمه وأفاده، وندبه إلى لقاء الشيوخ، والأخذ عنهم، ورحل به للسماع منهم، وكان ابن خاله»[3].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق(٥٧/ ٩).

(٢) سير أعلام النبلاء(٢٠/ ٢١)، وجاء فيه(٢٠/ ٢٠) أن مولد تميم بعد الأربعين وخمس مئة. وهو خطأ لا يصح فخاله الذي اعتنى به ولد سنة(٤٠٩) وتوفي سنة(٤٨٩)، كما في ترجمته في سير أعلام النبلاء(١٩/ ١٥٩).

(٣) التكملة لكتاب الصلة(٢/ ٤٤).

- الإمام أبو الفرج ابن الجوزي(ت:٥٩٧هـ):

قال سبطه في ترجمته: «توفي أبوه وله ثلاث سنين، وكانت له عمة صالحة، وكان أهلها تجاراً في النحاس.. فلما ترعرع حملته عمته إلى مسجد أبي الفضل بن ناصر، فاعتنى به وأسمعه الحديث»[١]، ولازمه أبو الفرج سنين طويلة[٢].

- الإمام زين الدين ابن نجية الأنصاري الدمشقي نزيل مصر (ت:٥٩٩هـ):

جاء عنه أنه قال: حفظني خالي مجلس وعظ، وعمري يومئذ عشر سنين، ثم نصب لي كرسياً في داره، وأحضر لي جماعته، وقال: تكلم. فتكلمت، فبكى.

وكان ابن نجية يذكر بعض ذلك المجلس وهو ابن تسعين، وكان بطيء النسيان[٣].

وقد استفاد ابن نجية من خاله إذ كان يلازمه، وكانت أمه وهي صالحة حافظة تتابعه.

---

(١) مرآة الزمان(٨/ ٢/ ٤٨١)، وفي سير أعلام النبلاء(٢١/ ٣٦٧): «توفي أبوه وله ثلاثة أعوام فربته عمته» ، وجاء في المستفاد من ذيل تاريخ بغداد(ص:١١٦-١١٧) : «فلما ترعرع حمله عمه أبو البركات إلى الحافظ أبي الفضل بن ناصر»!
ولعل الصواب: حملته عمته.

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة(١/ ٤٠١-٤٠٢ و٤١٥).

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة(١ / ٤٣٦).

يقول زين الدين: كنا نسمع من خالي التفسير، ثم أجيء إلى الوالدة فتقول: إيش فسّر أخي اليوم؟ فأقول: سورة كذا وكذا، فتقول: ذكر قول فلان، وذكر الشيء الفلاني؟ فأقول: لا، فتقول: ترك هذا. وسمعت والدي يقول: كانت تحفظ كتاب «الجواهر» - وهو ثلاثون مجلدة - تأليف والدها الشيخ أبي الفرج الشيرازي الحنبلي، وأقعدت أربعين سنة في محرابها[1].

- الإمام النحوي الأديب أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي(٥٢٠-٦١٣هـ):

قال القفطي في ترجمة ابن عمه علي بن ثروان بن زيد الكندي(ت: قريباً من سنة٥٦٥هـ): «كانت له معرفة حسنة بالأدب، ويقول الشعر، وهو الذي أفاد زيد بن الحسن ابن عمه، وأحضره مجالس مشايخ الأدب والرواية، ورغَّبه في ذلك، وحثه عليه من صغره»[2].

- محمد بن أحمد بن صالح بن شافع الجيلي ثم البغدادي المعدّل الحنبلي أبو المعالي(ت:٦٢٧هـ):

جاء في ترجمته: «توفي والده وله سنة وشهور، فتولاه خاله أبوبكر

---

(١) السابق(١/ ٤٤٠). وقوله: «أقعدت ...»، أي انصرفت إلى العبادة في مرضها أربعين سنة.

(٢) إنباه الرواة(٣/ ٢٣٥).

ابن مشـق، وأسـمعه الكثير من خلق، منهم السـقلاطوني، وابن الرحلة، وشهدة، وقرأ القرآن بالروايات، وتفقه في المذهب.

قـال ابن النجار: كان طيب النغمـة في قراءة القرآن والحديث، ويفيد الناس إلى آخر عمره، وكان متديناً، صالحاً، حسن الطريقة، جميل السيرة، وقوراً، صدوقاً، أميناً، كتبت عنه ونعم الرجل...»[1].

- محمـد بـن عـماد بن محمد أبـو عبد الله الحـراني الحنبـلي التاجر نزيل الإسكندرية(ت:٦٣٢هـ):

قال الذهبي: «روى عن ابن رفاعة، وابن البطي، والسـلفي، وطائفة كبيرة، باعتناء خاله حماد الحراني»[2].

- محمد بن مسعود بن بهروز البغدادي الطبيب (ت:٦٣٥هـ):

قال الذهبي: «سمعه خاله من أبي الوقت [السجزي]، وتفرد بالرواية بالسماع عنه»[3].

- أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد السلام التميمي السفاقسي الأصل الإسكندراني المالكي(ت:٦٥٤هـ):

---

(١) شذرات الذهب(٧/ ٢٢١).

(٢) العبر(٣/ ٢١٤).

(٣) العبر(٣/ ٢٢٤).

قال الذهبي: «أحضره خاله الحافظ ابن المفضل قراءة المسلسل بالأولية عند السِلفي، واستجازه له، ثم أسمعه من أحمد بن عبد الرحمن الحضرمي وغيره»[1].

- عبد العزيز بن يحيى البصري المغربي المدني، سبط الجمال محمد بن أحمد بن خلف المطري(ت:٧٥٢هـ) عن عشرين سنة:

قال السخاوي: «له ذكر في خاله العفيف عبد الله بن الجمال المشار إليه، وهو المرّبي له، والملزم له بالعكوف على الواردين عليهم من شيوخ العلم... اشتغل حنبلياً، وبرع في العلوم وأتقنها، وكان يحفظ أصولاً متعددة في فنون كثيرة، وفاق على أقرانه وأبناء جنسه، ثم حفظ المنهاج للشافعية من غير إعراض عن مذهبه الحنبلي، بل ليجمع بين المذهبين، ثم ارتحل إلى دمشق رغبةً في لقاء الشيوخ والأخذ عنهم فتوفي بها»[2].

- العالم الصالح الشيخ خليل بن عبد الرحمن القسطلاني المكي المالكي(٦٨٨- ٧٦٠هـ):

قال السخاوي: «وأشغله خاله النجم الطبري القاضي في المذهب الشافعي، فحفظ الحاوي والتنبيه، ثم تحول مالكياً...»[3].

---

(١) العبر(٣/ ٢٧٣-٢٧٤).

(٢) التحفة اللطيفة(٢/ ١٩٠).

(٣) التحفة اللطيفة(١/ ٣٢٢).

- الإمام الحافظ شمس الدين أبوبكر محمد بن المحب عبد الله الصالحي المقدسي الحنبلي المعروف بالصامت(ت:٧٨٩هـ):

جاء في ترجمته: «سمع من عيسى المطعم، والقاضي تقي الدين، وابن عبد الدائم، والقاسم بن عساكر، وقرأ على خالته زينب بنت الكمال كثيراً، وعلى أبيه...»[١].

- الشيخ الفقيه الواعظ علي بن محمد البعلي ثم الدمشقي الحنبلي، ابن اللحام(٧٥٠ تقريباً-٨٠٨هـ):

قال ابن حجر: «كان أبوه لحاماً، فمات وهو رضيع، فرباه خاله، وعلَّمه صنعة الكتان، ثم حبب إليه العلم فاشتغل وتفقه حتى برع في مذهبه، ودرّس وأفتى، وأخذ عن ابن رجب وغيره، وشارك في الفنون، وناب في الحكم، ووعظ بالجامع الأموي...»[٢].

- علي بن إبراهيم بن المؤرخ الشمس محمد القرشي الدمشقي الشافعي، ويعرف كسلفه بابن الجزري(ت:٨١٣هـ):

قال ابن حجر: «مات أبوه وله سنة، فرباه عمُّه نصير الدين محمد، وأسمعه عليه [الجزء] التاسع عشر من أمالي الحسن بن رشيق..»[٣].

---

(١) شذرات الذهب(٨/ ٥٢٩)، والمقصد الأرشد(٢/ ٤٣٠).
(٢) ذيل الدرر الكامنة(ص:١٠٧).
(٣) من الضوء اللامع(٥/ ١٥٧).

- العلامة الفقيه الأصولي محمد أمين سويد(١٢٧٣-١٣٥٥هـ):

«ولد في دمشق، لأسرة تعمل في التجارة والفلاحة، وكان أبوه تاجراً، تـوفي أثناء رحلة إلى الحجاز، وابنـه دون العاشرة، فكفله عمّه الذي افتتح متجراً صغيراً لبيع الأقمشـة وعهد به إليه، لكنه أهمله وانصرف إلى العلم فشجعه العم»[1].

- ومـن العلـماء الذين كان للخـال أثر كبير في حياتهم الأسـتاذ العالم الأديب شكري فيصل الدمشقي.

وخاله هو الأستاذ المربي الشيخ محمود ياسين فقد علمه وأدبه وشجعه وفتـح له آفاقاً واسـعة في العلم والحياة، ولهـذا فإنه حين نشر أول عمل له وهو كتاب «المجتمعات الإسلامية» كتب في أوله العبارة الآتية:

«إلى خـالي الـذي أراد الله أن يصطفيـه إلى جـواره قبـل أن يملأ عينيه مـن ثمرة الغرسـة التي انتزعها مـن أرضها ليزرعهـا في أرض خصبة من العلم... إلى روح خالي محدث الشام الأستاذ الشيخ محمود ياسين، أهدي هذا الكتاب فهو روح من روحه، وعبق من عبقه، وفاء ببعض حقه وإيماناً

(١) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري(١/ ٥٠٣).

بفضله»[1].

وهكذا رأينا في هذا الفصل حرص الأقرباء على الأبناء، وسعيهم في تعليمهم ونفعهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة، وعدم تركهم يضيعون في المجاهل والجهالات.

ومما يلفت النظر اهتمام الأخوال - على وجه الخصوص - فقد ذكر الخال في الشواهد السابقة في ثمانية عشر موضعاً، وذكر العم في موضعين، والخالة في موضعين، والعمة في موضع، وكذلك ابن الخال وابن العم ذكرا في موضع واحد، وصحيح أن هذه الشواهد ليست نهاية القول، ولكن تكرر ذكر الخال واضح يلفت النظر فعلاً، فما السبب في ذلك؟ هذا ما يحتاج إلى دراسة وتأمل وليس هذا موضع ذلك الآن.

(١) انظر لزاماً ما كتبه الأستاذ محمد مطيع الحافظ عنه في كتابه «في ربوع الشام» (ص٦٠٠-٦٠٢)، وكتابه الذي أفرده عنه وهو بعنوان: «شكري فيصل العالم الأديب المجمعي» (ص: ١١-١٤).

الكتابة والتأليف لهم

اهتمت الأسرة المسلمة بالجانب العلمي في تنشئة الأبناء اهتماماً ملحوظاً، وكانت إلى جانب تدريسهم وتعليمهم تكتب لهم المؤلفات النافعة التي تصحبهم في حياتهم، وتنفعهم وتنفع غيرهم، ومن هؤلاء:

- الطبيب الخطيب أبو الحسن عبد الله بن عيسى بن بختويه - من أهل واسط - (كان حياً سنة ٤٦٤هـ):

أَلَّفَ كتاب «المقدمات» ويعرف أيضاً بـ «كنز الأطباء» لولده في سنة عشرين وأربع مئة[1].

- الإمام الشيخ الفقيه الحافظ أبو الوليد الباجي الأندلسي(٤٠٣-٤٧٤هـ):

كتب وصية لابنيه أبي القاسم أحمد (ت:٤٩٣هـ)، وأبي الحسن محمد (توفي في حياة أبيه سنة ٤٧٢هـ):

قال في أول هذه الوصية: «يا ابنيَّ - هداكما الله وأرشدكما ووفقكما وعصمكما، وتفضل عليكما بخير الدنيا والآخرة، ووقاكما محذورهما برحمته - إنكما لما بلغتما الحَّد الذي قرب فيه تَعيُنُ الفروض عليكما،

(١) عيون الأنباء (ص:٣٤٠)، والوافي بالوفيات (١٧/ ٣٩٧)، والترجمة فيه من عيون الأنباء بنصها.

وتوجه التكليف إليكما، وتحققتُ أنكما قد بلغتما حَدَّ مَنْ يفهم الوعظ، ويتبين الرشد، ويصلح للتعليم والعلم، لزمني أن أقدِّم إليكما وصيتي، وأظهر لكما نصيحتي، مخافة أن تخترمني منية، ولم أبلغ مباشرة تعليمكما وتدريبكما، وإرشادكما وتفهيمكما»[1].

- الإمام أبو سعد عبد الكريم ابن السمعاني (ت:٥٦٢هـ):

أَلَّفَ لابنه عبد الرحيم كتابين: قال ابن خلكان: «كان لأبي سعد عبد الكريم ولد يقال له أبو المظفر عبد الرحيم بكَّر به والده في سماع الحديث، وطاف به في بلاد خراسان وما وراء النهر، وأسمعه الحديث، وحصَّل له النسخ[2]، وجمع له «معجماً» لمشايخه، في ثمانية عشر جزءاً، و «عوالي» في مجلدين ضخمين...»[3].

- الأمير الأديب الشاعر الكبير أسامة بن منقذ (ت:٥٨٤هـ):

أَلَّفَ كتاب الشيب والشباب لابنه[4].

- الإمام الكبير واعظ الإسلام أبو الفرج ابن الجوزي البغدادي(ت :٥٩٧هـ):

---

(١) وصية الباجي لولديه(ص:٣٥).

(٢) أي نسخاً من الكتب التي قرأها على الشيوخ..

(٣) وفيات الأعيان(٣/ ٢١٢) وقد مر ذكر هذا

(٤) الوافي بالوفيات(٨/ ٣٨٢)، وجاء في معجم الأدباء(٦/ ٥٧٩): ألفه لأبيه، وذكره الأمير لنفسه في كتابه لباب الآداب(ص:١٠٥ على موقع الوراق) ولم يذكر شيئاً من ذلك.

أَلَّف لابنه أبي القاسم علي: «لفتة الكبد في نصيحة الولد»، قال في مقدمتها: «إني لما عرفت شرف النكاح وفضل الأولاد، ختمت ختمة فسألت الله عز وجل أن يرزقني عشرة أولاد، فرزقني إياهم، فكانوا خمسة ذكوراً، وخمسة إناثاً، فمات من الإناث اثنتان، ومن الذكور أربعة، ولم يبق لي من الذكور سوى ولدي أبي القاسم، فسألت الله تعالى أن يجعل فيه الخلف الصالح، وأن يبلغني فيه المنى والمناجح، ثم رأيت منه نوع توان عن الجد في طلب العلم، فكتبت إليه هذه الرسالة أحثه بها على طلب العلم، وأحركه على سلوك طريقي في كسب العلم، وأدله على اللَّجَأ[1] إلى الموفق سبحانه، مع علمي بأنه لا خاذل لمن وفق، ولا مرشد لمن أضل، لكن قد قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ (العصر:٣)، وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ (الأعلى:٩) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[2].

وكتب «المجالس اليوسفية في الوعظ» لابنه يوسف[3].

- الإمام أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوي (٥٢٩-٦٠٤هـ):

ألف كتابه «ألف با» لابنه عبد الرحيم، وقال في مقدمته: «فإني عزمت ... على أن أجمع في هذه الأوراق، كل معنى رقَّ أو راق، مما هو عندي

(١) أي أن يلجأ إلى الموفق وهو الله سبحانه.
(٢) لفتة الكبد (ص:١٧-١٨).
(٣) الذيل على طبقات الحنابلة (٣/ ٤٢٠). وهذا الكتاب ما زال مخطوطاً.

مستحسـن لا مستخشن، ومسـتملح لا مسـتبقح، وأثبت فيه من الفوائد مـا يزري بالفرائـد، ومن بدائع العلـوم والفهوم ما يرتقي بـه من التخوم إلى النجـوم، وجعلت ما أؤلف فيه وأبني، لعبـد الرحيم ابني، ليقرأه بعد مـوتي، وينظر إليَّ منه بعد فوتي، إذ لم يلحـق بعد لصغره درجة النبلاء، ولم يبلـغ مرتبة العقلاء، أرجو أن يجعله الله منهم، ولا يقطع به عنهم، فيكون - إن شاء الله تعالى - بقراءة هذا الكتاب في الزيادة، إلى أن يلحق بالسادة.

إن الهـلال إذا رأيتَ نمـوه أيقنت أن سيصير بدراً كاملا[1]

وسميت ما جمعت لهذا الطفل المربا «كتاب ألف با» وقلت فيه:

هـذا كتـابُ ألف بـا صنعتـُهُ يـا ألـبَّا
مِنْ أجلِ نجلي المرجَّـى إذا شـدا أن يلبـا
أدعـو لعلـمٍ ومـن حَـ ـقِّ مَنْ دعـا أَنْ يُلَبَّى
وأنت عبد الرحيـم الـ ـطفلُ الصغيرُ المُرَبَّـا
إذا عقلـتَ فقـل قـد رضيـتُ بـالله ربـا
ودينِ الإسـلام دينـاً وبـالـنـبـيِّ المُنَبَّـا
محمـدٍ قـل رسـولاً وقـل نبـياً مُحَبَّـا

---

(١) البيت لأبي تمام من قصيدته:

ما زالت الأيام تخبر سائلاً أن سوف تفجع مسهلاً أو عاقلاً

وقوله «سـيصير» هي في الديوان: سـيكون. وهي أجمل. انظر: الديوان(ص:٥٢٨) ضمن المكتبة الشاملة.

ثــم استقــِمْ واتبعــه تــزددْ مِـنَ اللهِ قربــا

وذا الكتــاب اتخــذه لــداءِ جهلـك طِبـا

فـإنــه صنـعُ مــرءٍ طبَّ لِمَـنْ حَبَّ طبـا

هـذي وصاةُ أبٍ لَـمْ يـزل لشخصك صبا

ولـو يطيـق عليكَ الـ خيراتِ أجمعَ صَبَّـا»[1]

وذكر له الزركلي كتاباً آخر«توسع فيه بما أوجز في ألف باء» من أخبار وأشـعار، سـماه «تكميل الأبيات وتتميم الحكايات ممـا اختصر للألباء في كتاب ألف باء»[2].

- **الإمام فخر الدين الرازي(ت:٦٠٦هـ):**

جاء في ترجمة أحد أحفاده وهو علاء الدين علي بن محمود الشهير بـ: مصنفك(٨٠٣-٨٧٥هـ) أنه قال:

«كان للإمام الرازي ولد اسـمه محمد، وكان الإمام يحبه كثيراً، وأكثر مصنفاته صنفه لأجله، وقد ذكر اسمه في بعضها، ومات محمد في عنفوان شبابه»[3].

---

(١) ألف با (١/ ٣).

(٢) الأعلام(٩/ ٢٤٨).

(٣) شذرات الذهب (٩/ ٤٧٦).

وذكـر الحاج خليفـة كتابه «الأربعين في أصول الديـن»، وقال: «ألفه لولده محمد، ورتبه على أربعين مسألة من مسائل الكلام»[1].

- الإمام ناصر الدين بن عبد السيد المطرزي النحوي (ت:٦١٠):

له كتب منها:

- الإقنـاع لما حوى تحت القناع: قال الحاج خليفة: «وهو لغة، مرتب عـلى الأجناس، ذكر الهوام وما يتعلق بها في فصل، وبنى على أربع قواعد، أوله: الحمد لله الذي جعل العربية مفتاح التنزيل» ذكر فيه أن ولده لما فرغ مـن حفظ القرآن ألفه ليحفظه، وأعلم فيه للجوهري والتهذيب»[2]، وقد وصل إلينا، وهو شبه قاموس للمترادفات[3]، وطبع قريباً[4].

- المصباح في النحو: قال في مقدمته: «إنَّ الولد الأعز - لا زال كاسمه مسـعوداً، وإلى أهـل الخير مودوداً - لمّا اسـتظهر مختصر الإقناع، وكشـف عنـه بحفظـه فضلـة القنـاع، وأحـاط بمفرداته حفظـاً، وأتقن مـا فيه من النحـو معنى ولفظـاً، أردت أن ألمّظه[5] من كلام الإمـام المحقق، والحبر

(١) كشف الظنون (١/ ٦١).

(٢) كشف الظنون (١/ ١٣٩-١٤٠).

(٣) التقديم لـ «المصباح»(ص:٢٠-٢١).

(٤) انظر مقدمته (ص:٣-٦).

(٥) التلمظ: إدارة اللسان في الفم وتحريكه لتتبع أثر المطعوم، والمقصود هنا: أن يذيقه طعم كلام الجرجاني ليتتبعه.

المدقق، أبي بكر عبد القاهر الجرجاني – سقى الله ثراه، وجعل الجنة مثواه - حتى يعلق بطبعه من لفظه الحلو، ما يتفجر منه ينابيع النحو، فنظرت في مختصراته المضبوطة، دون كتبه المبسوطة، فوجدت أكثرها تعاوراً بين الأئمة: المئة، والجمل، والتتمة، فاستطلت أن أكلِّفه جمعها، وأحمله رفعها، كراهة ما فيها من الأشياء المعادة، وإن كانت لا تخلو من الإفادة، فاستصفيت منها هذا المختصر، ونفيت عن كلٍّ منها ما تكرر، استثقالاً للمعاد،واستقلالاً للمفاد، غير مدَّخِر فضل النصيحة، في رعاية عباراته الفصيحة، ولم أطو ذكر شيء من مسائلها إلا ما ندر، أو شاع فيما بينهم واشتهر، ولم أزد فيه شيئاً أجنبياً، إلا ما كان بالزيادة حرياً، وترجمته بكتاب «المصباح» ليستضيء بأنواره، ويستفيء بمغانم آثاره، وكسَّرته على خمسة أبواب...»[1].

قال الحاج خليفة: «وهو كتاب متداول بين الطلبة، نافع مبارك»[2].

- الإمام موفق الدين عبد اللطيف البغدادي (ت:٦٢٩هـ):

من مؤلفاته:«كتاب تاريخ وهو يتضمن سيرته، ألفه لولده شرف الدين يوسف»[3].

---

(١) المصباح (ص:٤٧-٤٨).

(٢) كشف الظنون(٢/ ١٧٠٨) وهو مطبوع، وله شروح كثيرة انظرها في الكشف، وفي تقديم المحقق(ص:٢٦).

(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء(ص:٦٩٤).

- العلامة نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني الشافعي(ت:٦٦٥هـ):

ألف كتابه «الحاوي الصغير» لولده جلال الدين محمد[١].

- الإمام ابن مالك (ت:٦٧٢هـ):

نظم «الألفية» لابنه تقي الدين محمد المعروف بالأسد، وكذلك كتب «المقدمة الأسدية» وهي صغيرة، نثر غير نظم، وضعها باسمه[٢].

- الإمام محمود المحبوبي(ت: في حدود ٦٧٣هـ)[٣]:

ألف كتابه «وقاية الرواية في مسائل الهداية» لحفيده صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود المحبوبي(ت:٧٤٧هـ) ليحفظه في أول نشأته، وقد استخلصه من مسائل كتاب «الهداية» للإمام برهان الدين المرغيناني. وأصبح أحد المتون الأربعة المعتبرة عند الحنفية.

وقد اختصر عبيد الله هذا الكتاب، وسمى مختصره «النقاية»، وهو الذي شرحه الشيخ علي القاري(ت:١٠١٤هـ) بكتابه المسمى «فتح باب العناية»[٤].

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٩/ ١٩٧-١٩٨).

(٢) الوافي بالوفيات(١/ ٢٠٦).

(٣) هذا التاريخ من هدية العارفين(٢/ ٤٠٦).

(٤) مقدمة «فتح باب العناية» بقلم محققه الأستاذ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة (ص:٤).

- الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد الصنهاجي المعروف بابن آجرُّوم[1](ت:٧٢٣هـ) :

ألف كتابه «المقدمة المشهورة بالآجرومية»، لولده أبي محمد:

قال السخاوي في ترجمة محمد بن أحمد بن يعلى السيد الحسني: «شرح الجرومية[2]، وقال: إن مؤلفها صنفها لولده، وأنه قرأها على الولد المشار إليه بفاس. وأظنه من أهل هذا القرن فليحرر»[3].

وقال الكتاني في ترجمة ابن آجروم: «وممن أخذ عنه أيضاً ولداه: الأستاذ الأثير، العالم الكبير، أبو محمد عبد الله، وبرسمه وضع والده المذكور المقدمة المذكورة، فنفعه الله بها، وانتفع بها أيضاً كل من قرأها، وهي من أجل ما أُلِّف في علم النحو، قريبة المرام، سهلة للحفظ والتفهم، كثيرة النفع لمن هو مبتدىء. قال سيدي الشريف في شرحه لها: ولما حضرتها على ولده أبي محمد المذكور بمدينة فاس، وجدت لها بركة عظيمة...»[4].

ويفيد هذا النص أن الذي أُلِّفتْ باسمه انتفع بها ونفع، وقرأها وأقرأها، وقد سارت هذه المقدمة في العالم الإسلامي، وانتفع بها من لا يحصى من الطلاب.

---

(١) آجروم بلغة البربر ومعناها: الصوفي الفقير.

(٢) هكذا سماها السخاوي.

(٣) الضوء اللامع(٧/ ١١٨).

(٤) سلوة الأنفاس(٢/ ١٢٧).

- الإمام شهاب الدين عبد الرحمن بن محمد بن عسكر المالكي البغدادي(ت:٧٣٢هـ):

ألف كتابه «إرشاد السالك إلى أشرف المسالك في فقه الإمام مالك» لابنه: قال في مقدمته: «فإن الولد السعيد - وفقه الله تعالى - لما راهق سن الرشاد، وناهز أن ينتظم في سلك أهل السداد، سألني أن أضع له كتاباً يكون مع كثرة معانيه وجيز اللفظ، سهل التناول والحفظ، فاستخرت الله تعالى، وجمعت له هذا المختصر، وأودعته جزيلاً من الجواهر والدرر»[1].

وقد أصبح ابنه وهو محمد عالماً كبيراً، وله تآليف منها شرح «الإرشاد» هذا، وقد ولد سنة(٧٠١) وتوفي سنة(٧٧٦هـ)[2].

- الإمام أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي المالكي(ت: ٧٤١هـ):

ألف كتابه «الأنوار السَّنية في الألفاظ السُّنية» لولده أحمد(٧١٥ - ٧٨٥هـ):

---

(١) إرشاد السالك مع شرحه أسهل المدارك(١/ ٢٤-٢٨)، وقد سماه الحاج خليفة في كشف الظنون(١/ ٦٤): «إرشاد السالك إلى أفضل المسالك» ولم يذكر مؤلفه، وقال: «في فروع الحنابلة». وهو خطأ. وقال ابن فرحون عن هذا الكتاب: «أبدع فيه كل الإبداع، جعله مختصراً وحشاه بمسائل وفروع لم تحوها المطولات، مع إيجاز بليغ». الديباج المذهب(١/ ٤٨٤).

(٢) الديباج المذهب(٢/ ٣٢٧).

قـال في مقدمته: «ولَّـا يسَّر الله على ابني أحمد المكنى أبا بكر - أبلغ الله فيه الأمل، وجعله من أهل العلم والعمل - حفظ القرآن العظيم، أحببت أن يفـوز بحـظ من حفـظ حديث المصطفـى عليه أفضل الصـلاة وأزكى التسليم، فجمعت له في هذا الكتاب جملة صالحة من كلام رسول الله صلى الله عليه وسـلم، جريت في هذا على منهاج كتاب «الشـهاب» للقاضي أبي عبد الله القضاعي ...»[1].

وألَّف كتابـه «تقريب الوصول إلى علم الأصـول» لابنه محمد(٧٢١ - ٧٥٧هـ): قال في مقدمته: «وإني أحببت أن يضرب ابني محمد - أسـعده الله - في هذا العلم بسهمه، فصنفت هذا الكتاب برسمه، ورسمته بوسمه، لينبسـط لدرسه وفهمه، وعولت فيه على الاختصار والتقريب، مع حسن الترتيب والتهذيب»[2].

وقـد أصبح الابنان من العلماء، ومحمـد هذا هو الذي دوَّن رحلة ابن بطوطة[3].

- الشيخ جبريل بن حسن بن عثمان الكنجاني (ت:٧٥٢هـ):

---

(١) الكتاب مخطوط في مكتبة البلدية بالإسـكندرية، انظر مقدمة الدكتور محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي على «تقريب الوصول(ص:٤٢)، وقد طبع.

(٢) تقريب الوصول(ص:٨٨).

(٣) انظر مقدمة الشنقيطي على التقريب(ص:٢٧-٢٩).

ألـف «التقدمـة في شرح المقدمـة» لولـده عبـد الله، وهـو شرح مفيد بالقول، ذكر في آخره ذيلاً في شرح حروف أبجد ومشتقاتها[1].

- العلامـة الأديـب الوزيـر الكبـير لسـان الديـن ابـن الخطيـب (ت:٧٧٦هـ):

ألف كتابه «السـحر والشـعر» لابنه عبد الله، وهو عبارة عن مجموعة شعرية اختارها، وذكر في مقدمته أنه لمناسبة ترعرع ولده عبد الله قد اغتنم الفرصة، واختار له طائفة من القصائد تتعلق بالوصايا والمبادىء.

وممن اختار من شـعرهم من المشـارقة: ابن نباتـة، والصابي، ومهيار، وأبو العتاهية، وابن الرومي، والشريف الرضي، وغيرهم.

ومـن المغاربة شـعراء المغـرب والأندلـس: ابن رشـيق، والمعتمد بن عبّـاد، وابن عمار، وابن اللبانة، وابن عبدون، وابن سـهل، وابن حَمْديس، وابـن صمادح، وابـن الجياب، وغيرهـم. والمختارات موجـزة مقلة، وقد راعـى ابـن الخطيب في قسـمه الأول نمط الشـعر، وفي قسـمه الثاني نمط السحر[2].

---

(١) كشف الظنون(٢/ ١٧٩٥)، والمقدمة لأبي الليث السمرقندي ألفها في الصلاة.

(٢) انظـر مقدمة المحقق لـ «الإحاطة في أخبار غرناطة»(١/ ٦٥)، وقد وصل من الكتاب أربع نسخ، وطبع مؤخراً.

- الإمام سراج الدين ابن الملقن (ت:٨٠٤):

لـه كتـاب بعنوان «تذكـرة الأخيار بما في الوسـيط من الأخبـار» ألَّفه لابنه[١].

ونقـرأ في مقدمـة كتاب «التذكرة» في الفقه الشـافعي: «هذه «تذكرة» ذات إحـكام وإتقـان، عـلى مذهب الإمـام المطلبـي ابن عـم أشرف ولد عدنـان، وسـهلتُها للولد والخلان، لينتفع بها في أقـرب أوان، وعلى الله في كل الأمور الاعتماد والتكلان»[٢].

- الحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقي(٧٢٥ - ٨٠٦هـ):

ألَّـف كتابـه «تقريـب الأسـانيد وترتيـب المسـانيد» لابنـه أحمـد أبي زرعة(٧٦٢ - ٨٢٦هـ):

قـال في أوله:«فقد أردت أن أجمع لابني أبي زرعة مختصراً في أحاديث الأحـكام، يكـون متصـل الأسـانيد بالأئمة الأعـلام، فإنه يقبـح بطالب الحديث، بل بطالب العلم أن لا يحفظ بإسـناده عدة من الأخبار، يستغني بهـا عن حمل الأسـفار في الأسـفار، وعـن مراجعة الأصول عنـد المذاكرة والاسـتحضار...»[٣] وقـد بـدأ بشرحه فيـما بعد، فشرح مواضـع منه ولم

(١) مقدمة طبقات الأولياء(ص:٥٣).
(٢) التذكرة(ص:٣١)، وانظر كشف الظنون(١/ ٣٩٢).
(٣) طرح التثريب(١/ ١٦-١٧).

يكملهُ، وأكمله ابنه أبو زرعة.

جاء في مقدمة الشرح: «لما أكملت كتابي المسمى بتقريب الأسانيد وترتيب المسانيد، وحفظه ابني أبو زرعة المؤلف له، وطَلَبَ حمله عني جماعة من الطلبة الحملة، سألني جماعة من أصحابنا في كتابة شرح له»[1].

- الشيخ الرحال الصالح عبد اللطيف بن عبد الرحمن السعدي العبادي الخزرجي الأنصاري المقدسي المعروف بابن غانم وربما نسب نفسه الغانمي(٧٨٦هـ - ٨٤٠هـ ظناً):

عمل لولده منظومة في العربية سماها بالعقد، وشرحها في كراريس سماه «الدر اليتيم في حل العقد النظيم» فرغ منه في بيت المقدس في رمضان سنة ٨٣٧، ومنه:

إنما النحو كملحٍ في الطعامْ ... إذ به كلٌ تساوى في القوامْ
مَنْ درى النحو تراه قارئاً ... يعرف اللفظَ على أصل الكلام
يتقيه كلُّ مَنْ جالسه ... مِنْ فقيهٍ حاذق حَبْرٍ همام
هاب أن ينطق مَنْ لم يدره ... خوف لَحنٍ ولخزيٍ في الملام
يرفع النصب كجزمٍ دائماً ... ينصب الرفع إذا جا في السلام
يقرأ القرآن لا يُعْرِبُ ما ... صرف النحو بإعراب المقام

(١) طرح التثريب(١/ ١٤)، وانظر تفصيل ماشرحه الأب وما شرحه الابن في المقدمة(١/ ٦-٩).

والـذي يعرفـه يرجـع مـا شـكَّ في لفـظٍ رواه بالسـقـام
يعـرف اللفـظ فيـبري سـقْمَـهَ يعـرفُ اللحنَ بتغيـير النظـام
مـا هما فيـه سـواءٌ عندنـا ليس أعمى كبصيرٍ في القيـام
كـم وضيعٍ رَفَـعَ النحـوُ وكـم وَضَـعَ اللحـنُ رؤوساً في العوام
عبـد اللطيـف الغانمـي ناظِمُهـا شَـهِـدَ الأمـر عـياناً والسـلام[1]

- **المحدث رضوان بن محمد العقبي ثم** القاهري(٧٦٩ - ٨٥٢هـ):

خرَّج «الأربعين المتباينات» لولده[2].

- **الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني(ت:٨٥٢هـ):**

كان لـه عنايـة بأولاده فائقة وقد رزق خمس بنـات، وذكراً واحداً هو بدر الدين محمد(٨١٥-٨٦٩هـ)، وله ألَّف كتابه المشهور «بلوغ المرام من أدلـة الإحكام» ليحفظه، وقد فرغ منه سـنة ٨٢٨هـ، ولولده نحو ثلاث عشرة سنة[3].

- **وجاء في ترجمة الإمام الحافظ عمر بن محمد ابن فهد القرشي الهاشمي المكي(٨١٢-٨٨٥هـ):**

---

(١) الضوء اللامع(٤/ ٣٢٧-٣٢٨).
(٢) الضوء اللامع(٣/ ٢٢٨)، وانظر(٤/ ٤٦).
(٣) انظر: الجواهر والدرر(٣/ ١٢١٩-١٢٢٠).

أنه «نشأ بمكة، فحفظ القرآن، ثم كتاباً في الحديث ألفه له والدُه»[1].

- الشيخ محمد بن محمد المحلي الأصل القاهري الحنفي(٨٣٣-٨٩٦):

«شرح غاية تهذيب الكلام في تحرير المنطق والكلام للتفتازاني» لولده[2].

- العلامة نور الدين عبد الرحمن بن أحمد الجامي(٨١٧-٨٩٨هـ):

أَلَّف كتابه «الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب» لولده ضياء الدين يوسف: يقول في مقدمته: «هذه فوائد وافية بحل مشكلات الكافية للعلامة المشتهر في المشارق والمغارب، الشيخ ابن الحاجب، تغمده الله تعالى بغفرانه، وأسكنه بحبوحة جنانه، نظمتها في سلك التقرير وسمط التحرير، للولد العزيز ضياء الدين يوسف، حفظه الله سبحانه وتعالى عن موجبات التلهف والتأسف، وَسَمْتُهَا بـ«الفوائد الضيائية» لأنه لهذا الجمع والتأليف كالعلة الغائية، نفعه الله تعالى بها وسائر المبتدئين من أصحاب التحصيل، وما توفيقي إلا بالله، وهو حسبي ونعم الوكيل»[3].

---

(١) الضوء اللامع(٦/ ١٢٦).

(٢) الضوء اللامع(٩/ ١١٣).

(٣) الفوائد الضيائية(١/ ١٦٣) والعلة الغائية هي ما كان وجود المعلول لأجلها كما قال محقق الكتاب نقلاً عن التعريفات(ص:٨٢).

وضيـاء الدين يوسـف هو الابـن الثالـث للمؤلف مـن أربعة، توفي ثلاثتهم سواه. وقد ولد سنة(٨٨٢هـ)[١].

- وألف الجامي أيضاً كتابه:

«بهارسـتان» - بالفارسة - لولده الضياء يوسف، سنة(٨٤٠هـ)، رتبه على ثماني روضات، وأورد في كلٍّ منها لطائف حكمية، ونوادر كثيرة، من الأبيات والأشعار، وأهداه إلى السلطان حسين بن بيقرا[٢].

وجـاء في مقدمـة تحقيـق «الفوائـد الضيائيـة»[٣]: «ألـف الجامي هذا الكتـاب لأجـل ابنه ضياء الدين يوسـف، وكان في العـاشرة من عمره في ذلك الوقت، ويشتمل على حكايات أولياء الله، وعظماء الصوفية، وكلام الحكـماء، وعدالـة السـلاطين، وكلام في الجـود والكـرم، وذكـر أحـوال الشعراء، والحكايات والأمثال المنقولة عن الحيوانات.

وقد ألفه بالفارسـة بأسلوب سهل يمتزج فيه النثر بالشعر». ويسمى «الإرشادية» أو «إرشادية بهارستان».

- الشيخ عبد الرحيم بن الشيخ أحمد الشهير بسور بهاري:

---

(١) مقدمة تحقيق «الفوائد الضيائية» (١/ ١٥٠).
(٢) كشف الظنون(١/ ٢٥٦).
(٣) (١/ ٧٥).

أَلَّف كتابه «كشف اللغات والاصطلاحات» لولده الشيخ شهاب لما قرأ «ديوان قاسم أنوار» في حدود سنة ١٠٦٠، جمع فيه من كتب اللغة الفارسية[١].

- الشيخ عمر بن صالح الفيضي التوقادي(من علماء القرن الثالث عشر الهجري):

أَلَّف «الدر الناجي على متن إيساغوجي» لولده عثمان حين قرأ عليه إيساغوجي سنة ١٢١٦[٢].

- العلامة الأديب مؤرخ حلب الشيخ كامل الغزي (ت: ١٣٥١هـ):

ولد له ولدٌ وهو كبير السن فأراد أن يترك له أثراً ينفعه من بعده، فنظم قصيدة تأديبية ثم شرحها، ونشر جزءاً من عمله هذا في مجلة المجمع العلمي العربي، وقدم له هذه المقدمة:«وُلد لي وأنا على رأس الثامنة والستين من عمري غلامٌ سررتُ به لأنه إحدى الزينتين، والصلة الوحيدة بين السلسلتين، وحزنت من أجله إشفاقاً عليه «ولد الشيب»، لا يدرى في أي الأحضان يربّى، ولا يعلم كيف يقطع عقاب الحداثة حتى

(١) كشف الظنون(٢/ ١٤٩٤).
(٢) معجم المطبوعات العربية والمعربة(٢/ ٤٧٢).

يبلغ مستوى الاستقلال في شؤونه، فأحببتُ أن أترك له تراثاً أدبياً تصونه صدورُ الصحف حتى يترعرع فتمثله له مرشداً سوياً، وناصحاً أميناً، يقوم لديه مقامي بالتربية والإرشاد، إذ لا مطمع لي بأن أبقى حياً إلى أمدٍ يعي فيه ما أشافهه به من عبارات التأديب والتهذيب، كما أشرتُ إلى ذلك في صدر القصيدة الآتية الذكر مخاطباً إياه بقولي:

أبُنّـــيَ أنـت وديعـةُ الله الـــذي هــو بالودائــع خـيرُ مَــنْ يتكفـلُ
أبـصرتُ نجمـكَ في الديـارِ وإننـي لإخــال شـمسي عن قريـبٍ تأفـلُ
فإلــى الإلــه وكلــتُ أمـرك إنــه نعــم الوكيلُ لنـا ونعــم الموئـلُ

إن هـذا الـتراث الأدبي هو بـلا ريبٍ خير من تراث مـالي، قد تذهبُ بـه يـد الإملاق، وتغـار عليه عاديات الأيـام والليالي، وهـو - أي التراث الأدبي - قصيـدة لامية نظمتها في تاريخ مولـده تعد نحواً من مئة وثلاثين بيتاً، ضمنتها قسـماً عظيماً من مسائل الحكمة المدنية، وعلّقت عليها شرحاً موجـزاً يسـتوعب نحو مئتي صفحة، سـميته «القـول الصريح في الأدب الصحيح» بسـطت فيه مـا انطوتْ عليه القصيدة مـن المطالب والمقاصد، مضيفـاً إليها بعضَ زيادات سـنحت لي أثناء تحريرها الـذي جاد به اليراع صفـواً عفـواً، دون إجهـادِ قريحةٍ ولا تكليـف طبع، مرصِّعـاً إياها بفرائد فوائـد اقتضبتُهـا من فصول كتـاب «الأدب الكبير» المنسـوب إلى عبد الله

ابـن المقفع اسـتزادة للمقاصد الأدبية مما لم آت به في قصيدتي، تحاشـياً من اسـتكداد الطبع واقتسـاره في نظمـه، وتكريراً لإفادة المسـتفيد، مما نظمته تثبيتـاً له في حافظته، واسـتجلاباً لطـرب القارىء ولذته، بذلك الإنشـاء البديع، وابتغاء تعويده السلوك على أسلوبه البليغ، الذي انفرد به صاحبُهُ بين أقرانه قادة الأدب، وجهابذة مَنْ ترسَّـل وكتب، غير مدّخر في ذاكرتي بيتـاً من اللزوميات يصلـح للتمثل إلا وتمثلت به في الموضع الذي يتطلبه، والمورد الذي يستعذبه الوارد فيشربه...»[1].

- وهناك مَنْ ألَّف كتاباً لأخيه ولكن بعد أنْ شَبَّ:

قـال ابـن فرحـون في ترجمـة الإمـام محمـد ابـن أبي زمنـين العزناطي(ت:٣٩٩هـ): «ولمحمد أخ اسـمه أبو بكر، كان فقيهاً فاضلاً، ولي قضاء إلبيرة، ولأجله ألف أخوه كتاب الأحكام المسمى بالمنتخب».

وقال عن هذا الكتاب: «ظهرت بركته، وطار شرقاً وغرباً ذكره»[2].

وهناك كتب أخرى ألفها الآباء للأبناء، وليس من غرضي إحصاؤها هنا، وفيما قدمته كفاية ومقنع.

---

(١) القـول الصريـح في الأدب الصحيـح، في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشـق، المجلد الخامس(١٩٢٥-١٩٢٦م)،(ص:٥٤٧-٥٥٧).

(٢) الديباج المذهب(٢/ ٢٣٣).

وقد رأينا أن الآباء بذلوا جهوداً كبيرة في إيصال العلم إلى أبنائهم، وإكسابهم المهارات التي منحهم الله إياها، وقد تنوعت هذه المؤلفات بحسب اهتمامات مؤلفيها واختصاصاتهم، ما بين طب إلى حديث، وفقه، وعقيدة، ولغة، ونحو، وأدب، وشعر، وسلوك، وتاريخ.

إنَّ هذا التصرف من الآباء - ولا سيما حين يحسون بقرب الرحيل واحتمال عدم التمكن من إفادة أبنائهم - تصرف يزخر بالدلالات على دينهم وشعورهم بالمسؤولية تجاههم.

عدم إدخال الغم عليهم

مما يلفت النظرَ في تاريخ الأسرة المسلمة أَنَّ رَبَّ الأسرة قد يُصاب بشيءٍ من الأمراض والأعراض التي قدرها الله على العباد في هذه الدنيا، ولكنه يتكتم على ذلك، ويصبر ويتجمل، ولا يحمل همه وغمه على عياله، ولا يذكر ما نزل به إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك، وهذا خلق عال، وسلوك شفاف، وقد نرى مَنْ نزل به مرض فأوسع عياله شكوىً، وملأ بيته غماً، ونسأل الله العافية من كل ذلك.

وأذكر هنا بعض ما وقفت عليه في هذا الجانب عن عدد من الآباء، لنتعلم منهم كيف نراعي شعور أسرنا، ولا ندخل عليهم الغم بذكر المرض وغيره ما استطعنا، وهؤلاء هم:

١- التابعي الجليل الحليم العاقل أبو بحر الأحنف بن قيس البصري(ت:٧٢هـ):

عن مغيرة قال: اشتكى ابن أخي الأحنف إلى الأحنف بن قيس وجع ضرسه، فقال له الأحنف: لقد ذهبتْ عيني منذ أربعين سنة، ما ذكرتُها لأحد[١].

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ٢٠٠).

فالأحنف يريد من ابن أخيه التحمل والتجمل بالاقتداء به، ولولا هذا فلعله لم يذكر ذلك لأحد.

٢- العالم الجليل عبد العزيز بن أبي رواد المكي (ت:١٥٩هـ):

عن شقيق البلخي قال: ذهب بصر عبد العزيز بن أبي رواد عشرين سنة لم يعلم به أهله ولا ولده. فتأمله ابنه ذات يوم فقال له: يا أبت ذهبت عينك؟ قال: نعم يا بني، الرضا عن الله تعالى أذهب عين أبيك منذ عشرين سنة[١].

٣- الإمام أبو بكر بن عياش الكوفي (ت:١٩٣هـ):

قال علي بن محمد: «مكث أبوبكر بن عياش عشرين سنة قد نزل الماء في إحدى عينيه ما يعلم به أهله»[٢].

٤- قال الإمام إبراهيم الحربي البغدادي (ت:٢٨٥هـ):

«ما شكوت إلى أمي ولا إلى أختي، ولا إلى امرأتي، ولا إلى بناتي قط حُمَّى وجدتها.

الرجل [هو] الذي يدخل غمه على نفسه، ولا يغم غياله.

وكان برأسي شقيقة خمساً وأربعين سنة ما أخبرت بها أحداً قط، ولي

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٢٢٨)، وينظر في معنى جوابه.

(٢) صفة الصفوة (٣/ ١٦٤).

عشر سنين أبصر بفرد عين ما أخبرت به أحداً»[1].

وإبراهيم الحربي كان من العلماء العقلاء الزهاد الكبار، وترجمة حياته جامعـة نافعة مؤدبة فلنعد إليها، ونتعلم منها الأخلاق والآداب، ، ومنها هذا الأدب الجميل في عدم إدخال الغم على عيالنا قدر الإمكان[2].

(١) صفة الصفوة (٢/ ٤٠٥).

(٢) ولا يفهم من كلامي الدعوة إلى ترك التداوي والاستشفاء بالأسباب المادية والمعنوية، فإن ذلك مشروع كما هو معلوم، إنما كلامي في التحمل والتجمل ولا سيما في مرض لا سبيل إلى علاجه.

عناية العلماء والرؤساء بأبناء المسلمين

كان للعلماء والرؤساء بأبناء المسلمين عناية واضحة، ورعاية مخلصة، مما يجعلنا نوسِّع مفهوم الأسرة ليشمل الأمة كلها، وهذا ما يثبته التاريخ، فقد كان كل فرد من أفراد الأمة يعد نفسه مسؤولاً عن أبنائها، وإلى عهد قريب كانت الأسرة تربي وكان الجيران يربُّون، وكان الحي بأكمله يشارك في ذلك، كانت معاني المسؤولية تتجسد في حرص الجميع على الأبناء فهم يتابعون وينصحون ولا يسكتون على خطأ أو خطيئة، وهذا الموضوع جدير بالتتبع والكتابة فيه بتوسع، وحسبنا هنا أن نذكر هذه الإضاءات:

- روى أبو نعيم بسنده إلى سلمة بن شبيب حدثنا عبد الرزاق قال: رأيت سفيان الثوري بصنعاء اليمن يملي على صبي ويستملي له[1].

- عناية الإمام أبي مسعود أحمد البَجَلي بعمر بن عبد الكريم الدهستاني الرواسي(٤٢٨ - ٥٠٣هـ):

دخل البجلي دهستان، واشترى من أبي الحسن عبد الكريم الدهستاني والد عمر رأساً ليأكله، فقال له أبو الحسن: أراك رجلاً من أهل العلم ويقبح أن تجلس في دكاني، فادخل المسجد حتى يجيئك الرأس.

---

(١) حلية الأولياء(٦/ ٣٧٠).

فلما قعد في المسجد نفذ إليه رأساً حسناً مشوياً، مع الخبز النظيف والخل والبقل على يد ابنه عمر، وكان صبياً صغيراً، فنظر أبو مسعود إلى تلك الحالة فاستحسن من الرواس ذلك، فلما فرغ من الأكل شكر الرواس، وقال: أحسنت إليّ، وليس معي شيء أكافئك فهل لك في أن تسلم ابنك إليّ حتى أسمعه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ففرح أبوه بذلك، وحمل أبو مسعود عمر معه إلى شيوخ دهستان، وسمَّعه الحديث، وأسمعه من نفسه أيضاً شيئاً. وانفتح عليه[1]، وطابت له هذه الصنعة، ورحل بنفسه بعد ذلك وأكثر من الحديث، حتى سمع ما لم يسمع أقرانه[2]، وأصبح له ٣٦٠٠ شيخ، وقد سمع عليه الغزالي الصحيحين[3].

وشارك الرؤساء في العناية بأبناء المسلمين مشاركة عامة وخاصة، وهذه التي تهمنا هنا، وأذكر في هذا بعض الأمثلة:

- عناية الوزير الممدَّح[4] عميد الدولة ابن جهير (ت:٤٩٣) بابن الإمام أبي نصر ابن الصباغ.

---

(١) في الأصل: عينه.

(٢) انظر الأنساب(٣/ ٩٦).

(٣) انظر تذكرة الحفاظ(٤/ ١١٣٧).

(٤) قال العماد الكاتب: «مدحه عشرة آلاف شاعر» كما في ترجمته.

قال الصفدي في ترجمة الوزير:

«خـدم ثـلاث خلفـاء... وكان خبـيراً كافيـاً مدبـراً فصيحـاً مفوهاً مترسلاً، وله هيبة وسكون، وكلماته معدودة، كلّم يوماً لولد أبي نصر ابن الصبـاغ فقال له: اشـتغل وادأب وإلا كنتَ صباغـاً بغير أب. فلما قام من المجلس جاء الناس إلى ابن الصباغ للهناء لكون الوزير كلَّمه»[1].

- عنايـة الملـك الظاهر غـازي بن صلاح الدين يوسـف الأيوبي(ت: ٦١٣هـ) بابن الإمام الفقيه علاء الدين الكاساني(ت:٥٨٧هـ):

كان الظاهر ملك حلب، وكان الكاسـاني صاحب الكتاب المشـهور «بدائـع الصنـاع في ترتيب الشرائع» مدرسـاً للفقه في المدرسـة الحلاوية، وتوفي في حلب ودفن فيها.

قـال القـرشي في ترجمته: «وخلَّـف ولداً ذكـراً، وتولى الملـك الظاهر تربيته، واجتهد في اشتغاله بالفقه فلم يَنْجُبْ»[2].

إن هـذه الأمثلة تدل دلالة ظاهرة على حرص العلماء والرؤسـاء على أبناء المسـلمين، وشـعورهم بهم، ورغبتهم في تقديم العـون لهم، والتقدم

---

(١) الوافي بالوفيات(١/ ٢٧٢).

(٢) الجواهر المضية في طبقات الحنفية(٤/ ٢٨).

بهم لاسيما إذا كانوا أبناء علماء، شع العلم في بيتهم، واستضاء الناس بآبائهم.

هذه الأمثلة - وهناك غيرها بلا شك - تعلمنا أن نعد كل أبناء المسلمين أبناءنا، ونحرص عليهم حرصنا على ذريتنا، ونقدم لهم ما نستطيع مما آتانا الله من مكنة علماً ومالاً وتوجيهاً ونصحاً وسلوكاً.

صور سلبية

وأخيراً أقول: قد رأينا فيما مضى صوراً مشرقة من رعاية الأسرة المسلمة للأبناء، ومع ذلك فإننا لا نعدم أن نرى بعض الصور التي حصل فيها تقصير من بعض الآباء، كالذي وقع من إبراهيم والد القاضي أبي يوسف يعقوب الكوفي، وأسوق هنا خبره عسى أن يكون في ذلك تذكرة للآباء الذين قد يكون لديهم أبناء نبغة وهم عنهم غافلون[1].

- حكى الخطيب البغدادي والموفق الخوارزمي في ترجمته: «قال أبو يوسف: كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال، فجاء أبي يوماً وأنا عند أبي حنيفة فانصرفت معه، فقال: يا بني لا تمدنَّ رجلك مع أبي حنيفة، فإن أبا حنيفة خُبزُهُ مشوي. وأنت تحتاج إلى المعاش، فقصَّرت عن كثير من الطلب، وآثرت طاعة أبي.

فتفقدني أبو حنيفة وسأل عني، فجعلت أتعاهد مجلسه، فلما كان أول

---

(١) كنت أردت أن أذكر قصة المهندس سند بن علي التي حكاها أبو جعفر أحمد بن يوسف البغدادي المصري الكاتب(ت:٣٤٠) في كتابه «المكافأة»(ص:١١٩) وما جرى له مع أبيه الذي سوَّفه في شراء كتاب «المجسطي» لبطليموس، ولم يكتشف نبوغه. وهذه القصة نقلها الأستاذ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى في كتابه «صفحات من صبر العلماء» (ص:٢٧٥-٢٧٧)، ثم اكتشفت أن سنداً هذا كان يهودياً وأسلم على يد المأمون كما في «الفهرست» لمحمد بن إسحاق النديم، (ص:٤٣٩) فخرج عن شرطي - وهو بيان رعاية الأسرة المسلمة لأبنائها _ أصلاً.

يوم أتيته بعد تأخري عنه، قال لي: ما شغلك عنا؟ قلت: الشغل بالمعاش وطاعة والدي، فجلست، فلما انصرف الناس دفع إلي صُرَّة وقال: استمتع بهذه، فنظرت فإذا فيها مئة درهم، فقال لي: الزم الحلقة، وإذا نفدت هذه فأعلمني.

فلزمت الحلقة، فلما مضت مدة يسيرة دفع إلي مئة أخرى، ثم كان يتعاهدني وما أعلمته بخلةٍ قط، ولا أخبرته بنفاد شيء، وكان كأنه يخبر بنفادها حتى استغنيت وتمولت، فلزمت مجلسه حتى بلغت حاجتي وفتح الله لي ببركته وحُسن نيته ما فتح من العلم والمال، فأحسن الله عني مكافأته وغفر له»[1].

ومن الصور السلبية ما جرى من بشير بن أبي خازم الواسطي والد المحدِّث هشيم، وإن كان انتبه ورجع، وإليكم قصته:

«قال أبو إسحاق الحربي: كان بشير صاحب صحناة وكواميخ، وطلب ابنه هشيم الحديث فاشتهاه، وكان أبوه يمنعه. فكتب الحديث حتى جالس أبا شيبة القاضي، وكان يناظر أبا شيبة في الفقه، فمرض هشيم، فقال أبو شيبة؟ ما فعل ذلك الفتى الذي كان يجيء إلينا؟ قالوا:

---

(١) تاريخ بغداد(١٤/ ٢٤٤)، وما بعده زيادة من مناقب أبي حنيفة للخوارزمي (ص:٤٦٩).

عليل. فقال: قوموا بنا حتى نعوده.

فقام أهل المجلس جميعاً يعودونه حتى صاروا إلى منزل بشير، فدخلوا إلى هشيم، فجاء رجلٌ إلى بشير ويدُهُ في الصحناة فقال: الحق ابنك قد جاء القاضي يعوده. فجاء بشـير والقاضي في داره. فلما خرج قال لابنه: يا بني قد كنتُ أمنعك من طلب الحديث، فأما اليوم فلا، صار القاضي يجيء إلى بابي، متى أمَّلت هذا؟»[1].

فلو اسـتجاب هشـيم لمنع أبيه لنشـأ مثله طباخاً، وليـس العمل عيباً ولكن ينبغي أن لا يكون مانعاً من العلم.

وأصبح هشـيم من أئمة العلم، وروى عنه الحديث: مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وشعبة، وعبد الله بن المبارك، ويزيد بن هارون، وجماعة آخرون من الكبار، منهم أحمد بن حنبل الذي لزمه أربع سـنين أو خمسـاً. وتوفي سنة(١٨٣هـ)[2].

(١) صفة الصفوة(٣/ ١٥).

(٢) السابق(٣/ ١٦-١٧).

نتائج الكتاب

بعد هذه الجولة الممتعة مع الأسرة ورعايتها لأبنائها نخلص إلى النتائج الآتية:

١- آمنت الأسرة بأن لصلاحها أثراً في صلاح الأبناء، فكان ذلك عاملاً في كثرة طاعتها، والإقبال على صلاتها وصيامها وصدقاتها، توسلاً إلى الله أن تعود بركة هذا العمل الصالح على الذرية.

٢- تميزت الأسرة المسلمة باستحضار حقوق الأبناء في الأذهان، بحيث كانت تَذْكُرُهُم وتشعر بمسؤوليتها عنهم في المحافل العلمية، والمجالس الإرشادية، لتنقل إليهم هذا العلم وذلك الإرشاد.

٣- كان من عمد رعاية الأسرة المسلمة للأبناء الدعاء لهم في مراحل حياتهم كلها، بل قد يبدأ ذلك قبل حمل الأمهات بهم. لما في الدعاء من خير عظيم وإكرام عميم من الحق سبحانه للداعي والمدعو له، وقد ظهرت آثاره في الأبناء أيما ظهور.

٤- ومن العمد: عرض الأبناء على عباد الله الصالحين، وفي ذلك أهداف متعددة، منها: التماس دعواتهم، ومنها: طلب نصحهم وإرشادهم وتوجيههم، ومنها: ربطهم بهؤلاء العباد الصالحين ليتأثروا بهم، ويقتفوا سبيلهم.

٥- ومنها: إطعامهم الحلال الخالص، إيماناً من الأسرة بأثر الحلال الحاسم

في أجسادهم وعقولهم وقلوبهم، وآثاره الجليلة في سلوكهم وأعمالهم وتصرفاتهم.

٦- ومنها: توجيههم إلى طلب العلم ونصحهم بذلك، بل يتعدى الأمر التوجيه والنصح إلى قيام الأسرة بذلك قياماً عملياً، وعنايتها به عناية تطبيقية، حتى لا يبقى التوجيه قولاً عابراً، والنصح خاطراً سائراً.

٧- ومنها - وهو مرتبط بما قبله -: قيام الأسرة بحمل الأبناء الصغار إلى مجالس العلم والعلماء، والقراءة والدرس والإفادة، ليرتبطوا روحياً ونفسياً وعملياً بالعلم والعلماء ومجالسهم، ويتابعوا هذا حين تفتُّحِ وعيهم وإدراكهم.

٨- ومنها: أن تباشر الأسرة - إذا كان فيها عالم - تعليم الأبناء بنفسها، فالأقربون أولى بالمعروف، والأسرة قد تكون أعرف بنفسياتهم ومداركهم، والسبيلِ الموصلِ إلى رغباتهم وقناعاتهم،وإشباع هذه الرغبات، ومقاربة تلك القناعات. وليس من المعقول أن يعلِّم الأب أو الأم الآخرين ويدعا الأقربين.

٩- ومنها: تفخم شأن العلم في تصوراتهم وتصديقاتهم، لما في ذلك من الاهتمام به وتكريمه، وتقديره وتعظيمه، ومعرفة جلالته ومنزلته، ليقبلوا عليه، ويبذلوا له أنفسهم وأموالهم، ويصرفوا له أعمارهم وأنظارهم.

١٠- ومنهـا: بذل الأمـوال لهم وإنفاقها عليهم من أجـل أن ينصرفوا إلى العلـم، ويتفرغوا لـه، طلباً وتحصيلاً، وفهماً وحفظـاً، إيماناً من الأسرة بـأن هذا الإنفاق من أجلِّ القربات وأفضل الطاعات. وتغذيةُ العقول مقدمة على تغذية الأجسـام، فالأولى تقود إلى الفضل العظيم، والثانية - بلا علم وبلا اعتدال - تؤدي إلى الفضول الذميم.

١١- ومنهـا: متابعتهم في أمورهم الحيويـة، كبيرها وصغيرها، ورقابتهم وتتبـع خطواتهم وخواطرهم، وتقديم ما ينبغي تقديمه لهم في اللحظة المناسـبة، نصحاً زاخـراً بالشـفقة، وتوجيهاً مفعماً بالحرقـة، وتعليماً لا يقدر بثمن، وتفهيماً لا يعوض بعوض.

وقـد نتـج عن هذا تراث واسـع، متميز رائع، زخـرت به الصفحات، وحفلت به الدراسات.

١٢- ومنها: تعليمهم أدباً مهماً للغاية، هو أدب الكلام، هذا الأدب الذي يرتفع مَنْ يأخذ نفسه به ويراعيه، ويسقط مَنْ يهمله ويتساهل فيه، وقد ضربت الأسرة المسلمة في ذلك أروع الأمثال، في متابعة أبنائها والانتباه إلى كلامهم، وبواعث هذا الكلام، وتقديم النصائح الغالية لهم في هذا المجال الحسـاس، فاللسـان وإن كان من أصغر أعضاء الإنسان إلا أنه يمكن أن يقود صاحبه إلى الجنة، ويمكن أن يقوده إلى النار.

١٣- ومنهـا: الاحتفال بهـم عند كل مرحلة من مراحل حياتهم، وأُولاها ولادتهـم، وثانيهـا ظهـور مواهبهم في إتقان قـراءة القـرآن أو حفظه، وثالثها تحقيق بعض الإنجازات العلمية والعملية، وذلك سعياً لتكوين وجودهم الاجتماعي، وتأسيساً لإشراكهم في حوادث الحياة ومهماتها، ومقتضياتها ومتطلباتها.

١٤- ومنها: القول الصادق والعمل الجادُّ على ربطهم بخالقهم - سبحانه وتعـالى - لتعمر القلـوب بمحبته، وتعظم النفـوس بالثقة به، وليرقى السلوك بمراقبته، وتجمل الأعمال بحسن التوجه إليه وإرادته.

وهـذا العمـود مـن أعظـم العمـد التـي قامت عليهـا خيمـة الرعاية الإسـلامية في بناء الإنسـان، وتشييد الأوطان، وللأسرة في ذلك طرق متنوعة وأساليب متعددة، يمكن الافادة منها في كل وقت وحين.

١٥- ومنهـا: إعانتهـم على مـا يتوجهون إليه من سـبل الخـير، مما يوافق تطلعاتهم وتوجهاتهم، وينسجم ورغباتهم ونياتهم، وكلٌ ميسرٌ لما خلق له، فلا يجبرون على مسلك لا يجدون نفوسهم سالكة فيه، ولا يقسرون على تكرار صور والديهم واستنساخ شخصياتهم.

١٦- ومنها: تلبية نداء الفطرة، والاسـتجابة لصرخة الغريزة، تحصيناً لهم من جوعٍ قد ينتهي بالانحراف المقيت، وظمأٍ ربما جرَّ صاحبَهُ إلى كأس

محرمـة، وليلة مظلمـة، تتوعر بعدها دروبُ حياتهم، وتترك خدشـاً في صفاء سيرتهم، ونقاء مسيرتهم.

١٧- ومنهـا: بِرُّهـم ورعاية مشـاعرهم، معاملةً بالمثـل، وقياماً بالفضل، فكـما يحـب الوالدان بـر الأبنـاء، وحفظ مشـاعرهما، فكذلـك الأبناء يحبون منهما حسن المعاملة، والإحساس بهم، وتقدير رغباتهم، وإشباع عواطفهم.

١٨- ومنهـا: تعليمهم كيفية اختيار الأصدقاء، ولفت أنظارهم إلى تجنب مَـنْ عرف ببعـض الصفات الذميمـة والأخلاق الشـائنة، فالصاحب ساحب، والمرء على دين خليله، وكم من شخص ارتفع بمن يصاحبه، وكم من شخصٍ هوى كذلك!

١٩- ومنهـا: اشـتراك الأقـارب في هـذه الرعايـة، وحـرص الجميع على القيـام التام بما تتطلبه الرعاية من شـؤون وفنـون، في وجود الوالدين، وفي غيابهما أو غياب أحدهما، ومن الطبيعي أن يكون التدخل في ذلك الغياب أجلى وأكبر.

ومـن هنـا كان للأخوال والخالات، والأعمام والعمات، وأبنائهم، دور بارز في التربية والتعليم، والإعانة والإغاثة.

٢٠- ومنهـا: تأليـف كتـب موجهـة إليهم، يـودع فيها الآبـاء - ولم أجد

مَـنْ فعـل ذلك مـن الأمهات - مِـنْ علمهم وتجاربهم وسـيرة حياتهم وتاريخهـم ونصائحهم وتوجيههم ما ينفع الأبناء، ويسـاعد في تكوين شـخصيتهم العلمية وثقافتهم الاجتماعية، وقد تعددت هذه المؤلفات وتنوعت، بحسب تخصصات مؤلفيها واهتماماتهم، وبحسب ما يرونه ويقدرونه نافعاً مفيداً لأبنائهم، ورغبتهم في تخصصهم المستقبلي.

ونتـج عن ذلك ثروة علمية تعليميـة رائعة، انتفع بها الأبناء الصلبيون والقلبيون على السواء.

٢١- ومنهـا: عـدم إدخـال الغـمِّ عليهم، وتنغيـص حياتهم، بالشـكوى الدائمـة من الأمراض والآلام، والمشـاكل والمشـكلات وما إلى ذلك، ومحاولة الظهور أمامهم بمظهر الصابر الشاكر، المتحمِّل المتجمِّل، وفي ذلـك ضمان هيبة الوالدين، وقدرتهم على تحمِّل مسـؤولياتهم، وضمان بقاء البيت واحةَ راحةٍ للجميع.

٢٢- ومنهـا: اشـتراك علـماء الأمـة ورؤسـائها في رعاية أبناء المسـلمين، توسـيعاً لمفهوم الأسرة المسلمة، وتأكيداً لأهمية العناية بالنشء المسلم، فعلى الجميع أن يسهم في هذا المجال بما يستطيعه من علم وفكر، أو بذل ومـال، أو جهـد ودأب، فأبناء اليوم هم آباء الغد، وهم اليوم يُصنعون وغداً سيصنعون.

نداء إلى الآباء والأمهات

والآن بعد أن طوفنا برياض رعاية الأسرة المسلمة للأبناء في ماضينا، يحسن أن نطلق هذا النداء الذي يضعنا وجهاً لوجه أمام المطلوب منا، أو جزء من المطلوب:

١- اعملوا على إصلاح أنفسكم، وصلاح حالكم مع مولاكم، واعلموا أن لصلاحكم أثراً في صلاح أبنائكم، ولا يضيع عند الله مثقال ذرة.

وإذا رأى الأبناء صلاحكم تعلموا منه، وانطبع في أذهانهم، وتمثلوه في حياتهم أيضاً.

والصلاح يبدأ بتوبة نصوح، واستقامة على الطريق، وتجنب الأخطاء والخطايا قدر الإمكان.

٢- استحضروا حقوق أبنائكم عليكم دائماً، فإذا رأيتم، أو سمعتم خيراً، حاولوا نقله إليهم، وإطلاعهم عليه، واحرصوا على أن يتعلموه ويستوعبوه، ولا تستقلوا الخير مهما كان قليلاً أو صغيراً، ففي الخير بركة تنمِّيه، وفي القيام به وتطبيقه بركات ترعاه وتجليه.

ورب فائدةٍ لا يلقى لها بال، نقلها الآباء إلى أبنائهم في ساعةٍ من نهار

أو ليل، كان لها في مستقبل أيامهم أثر كبير، ونفع خطير، وكانت سبباً في حصول مغنم، أو دفع مغرم.

٣- ادعوا لأبنائكم دائماً، أن يكرمهم الله بعلم نافع، وعمل صالح، وحياة سعيدة، وصحة دائمة، وأن يرضى عنهم في الدارين. فإن دعاءكم لهم ذخيرة لا تنفد، وعون لهم لا يحد، يرون أثره في أوقات الشدة واللين، ويتلمسون بركته في سائر أحوالهم وأطوارهم.

إن الدعاء واللياذ بالله واستمطار رحمته وكرمه من أعظم ما يقدمه الآباء لأبنائهم، فلا تغفلوا عن ذلك، ولا سيما أوقات الإجابة، وساعات الإنابة.

٤- اعرضوا أطفالكم على مَنْ تتوسمون فيه الصلاح والعلاقة الوثقى بالله سبحانه، احملوهم إليهم، واطلبوا لهم منهم الدعاء، واكتبوا هذا في يومياتكم أو مذكراتكم، لتنشأ بين أطفالكم وبين هؤلاء صلة قلبية، وصلة حقيقية، إذا امتدت الأعمار بهم جميعاً.

٥- احرصوا على أن تطعموهم الحلال الخالص، فإنهم أمانة في أعناقكم، وقد وثقوا بكم واستسلموا لما تأتونهم به، وكلنا يدرك ما للتغذية بالحلال من آثار على الإنسان في عقله وقلبه وجسده، فلننظر في

أموالنا، ولنسع إلى أن تكون حلالاً، أينما كنا وكانت أعمالنا، إن مما يجب أن يشغل المسلمَ دائماً تحريه الشديد في كسبه، والنظر الفاحص في كل ما يدخل جيبه أو جوفه.

٦- انصحوا أبناءكم بطلب العلم ووجهوهم إليه، وكونوا وراءهم، ولا تسمحوا لهم بالإعراض عنه، والتفريط به، فحياةٌ بلا علم لا خير فيها، والأبناء في طفولتهم ونشأتهم قد لا يدركون قيمة العلم، ولا يعرفون فضله، ولا يحسون بمخاطر الجهل عليهم وعلى مجتمعاتهم، فمن هنا كان على الآباء القيام بهذا الواجب قياماً تاماً، متنوع الأساليب، متعدد المسالك، ومن المهم أن لا تعروهم الغفلة، ولا ينال منهم اليأس، وأن لا يتهاونوا في هذا الجانب أبداً.

٧- احملوا أولادكم إلى المجالس العلمية، والمحافل الثقافية، وأطلعوهم على هذه الأجواء، وأشركوهم بها، مهما كانت أعمارهم، وليكن هذا في بيئاتكم، أو بيئات تسافرون إليها، وإذا كان الأولاد صغاراً لا يدركون فاكتبوا لهم في أوراق تحفظونها لهم أنهم حضروا محاضرة للعالم الفلاني، أو أمسية للأديب الفلاني، وجرى كذا وكذا، وإذا كانوا مدركين فأكدوا لهم أهمية هذا بالحديث عنه دائماً، واربطوهم بالعلم

والأدب من خلال ربطهم بالعلماء - في شتى تخصصاتهم - والأدباء - في مختلف مجالاتهم_.

ومن الجميل جداً إحياء سنة العلماء في إسماع أطفالكم الحديث النبوي، وتحصيل الإجازات لهم من أهله وأربابه.

٨- إذا كنتم من أهل العلم، أو قادرين على الإفادة - مهما كانت - فباشروا تعليم أبنائكم بأنفسكم، أعطوهم ما لديكم، وامنحوهم ما عندكم، واجلسوا معهم، وساعدوهم في دراستهم، ودارسوهم، وتعرفوا إلى مستواهم ودرجة ذكائهم، وما لديهم من مواهب وقدرات، وما يستهويهم من العلوم والآداب والفنون، وإذا اكتشفتم فيهم شيئاً من هذه المواهب والقدرات فاعملوا على تنميتها ورعايتها، واحذروا أن تضيع هذه الملكات، وتخبو تلك الوقدات.

٩- عظِّموا شأن العلم والعمل به في نفوس أولادكم، وعظموا مَنْ يحمل هذا العلم وينفع به الناس،وعظموا حرمات الله في أقوالكم وأفعالكم، فإن لذلك أثراً كبيراً لديهم.

ولا تسمحوا لأحدٍ أن يهوِّن من شأن العلم وتحصيله والسعي إليه بحجة عدم جدواه دنيوياً، وقلة عائدته مالياً، فإن هذا وهم كاذب،

وتوجيه مغلوط، ونحن - المسلمين - لا نعمل للدنيا فقط، ولا ننظر إلى المال وحده.

إن العلم - في سائر تخصصاته - وسام شرف رفيع، وهو طريق إلى الله تعالى، وإلى بناء الإنسان، ورفعة الأوطان.

وكم من إنسان درس فقيراً ثم انهالت عليه الدنيا من كل جانب!

١٠- أنفقوا على أبنائكم ليدرسوا ويتعلموا، واعلموا أن من أفضل النفقات ما كان في هذا السبيل، وأن أعظم استثمار هو الاستثمار في العلم والتعلم والتعليم، فلا تترددوا في اختيار أفضل المدارس والجامعات لهم، ولا تحملنكم قلة ذات اليد على التقصير أو القصور في ذلك، فإن عاقبة التقصير أو القصور في ذلك سيئة على المستوى الشخصي والأسري والمجتمعي.

إن الأمة مطالبة - من خلال مكوناتها وهي الأُسَرُ المسلمة - أن تولي هذا الجانب أعظم اهتمامها، وأفضل وسائلها، وأجمل أفكارها، وأعظم جهودها، فهو السبيل الوحيد الذي ينتشلها من وهدتها، وينقذها من تخلفها.

١١- افتحوا عيونكم على أبنائكم، وتابعوا أمورهم، وافهموا أنفسهم،

واعرفوا أفكارهم، وتلمسوا ما يشغلهم، وراقبوهم مراقبة المحبِّ الحريص الشفاف، لا مراقبة المبغض الشاك الثقيل، ولا تشعروهم بعبء متابعتكم لهم، وانصحوهم ووصوهم، وأنيروا لهم الطريق بكلماتكم وتوجيهاتكم، وأوصلوا إليهم ما يعصم عقولهم من الانحراف، وقلوبهم من التشتت، ونفوسهم من الحيرة، وأشعروهم أنكم سند لهم، لا سد أمامهم.

١٢- علِّموا أولادكم الآداب الحسنة، وفي ذروتها أدب الكلام، كيف يتكلمون، وماذا يقولون، وضرورة مراعاة المقام، ومعرفة المخاطب، والتوقي في الكلمة، والورع في الحديث، والحيطة في إطلاق الأحكام، والحذر من مغبة الكلام، وراجعوهم في أقوالهم، وحاسبوهم إذا فرطوا بهذا الأدب، وازرعوا في نفوسهم أننا يجب أن نكون أمة أفعال محسوبة، لا أقوال فارغة مهدورة، وذكِّروهم بأثر اللسان على الإنسان في دنياه وآخرته، وعرفوهم خطر هذا العضوء الصغير في حجمه، الكبير في أثره.

١٣- كوِّنوا لهم شخصيةً اجتماعية، حين ولادتهم، ثم في سائر مراحل حياتهم، ولا سيما مراحل النجاح في دراسةٍ أو عملٍ أو كليهما، وهذا التكوين يبدأ بالعقيقة، ثم بنحر ما يُنْحَرُ وجمعِ الناس وإطعامهم حين

تحقيق إنجاز كحفظ القرآن مثلاً، والنجاحِ من مرحلةٍ دراسية إلى أخرى، ويتأكد هذا إذا كان نجاحاً متميزاً.

إن الاهتمام بنجاح الأبناء وتميزهم من أفضل الوسائل لإدامة هذا النجاح والتميز، وزيادته وتطويره، وهو من أفضل الوسائل كذلك لبناء وجودهم الاجتماعي، ودخولهم في المجتمع دخولاً سليماً مؤثراً فاعلاً.

١٤- علِّقوا أبناءكم بالخالق الرازق العظيم، واربطوا قلوبهم به، وقفوهم على بابه، وعظموه في نفوسهم، ولا تدعوا فرصة - ولو على مائدة طعام، أو في جلسة سمر، أو في الطريق إلى المسجد، أو غير ذلك - دون أن تغتنموها بالحديث عنه - سبحانه -، وذكر نعمه، وتواترِ إفضاله، وواسع كرمه وحقوقه على عبيده، وأمره ونهيه، وحكمه وحكمته.

إنَّ ارتباط القلوب بالله عز وجل يعصمها من الزلل والخلل، ويمنحها طاقة لا تحد على العمل النافع في الميادين كلها، ويخلصها من شوائب الدنيا، ويطلقها في عالم الصفاء والطهر والنقاء.

وستكون قرة أعينكم إذا رأيتم أبناءكم صالحين، لهم بالله علاقة وطيدة، ولهم بدينهم عروة وثقى.

١٥- أعينوا أبناءكم على ما يسلكون من سبل الخير، وشجِّعوهم عليها، وقفوا إلى جانبهم إذا رغبوا فيها، ولا تفرضوا عليهم مسالككم، ولا تكرهوهم على تقمص شخصياتكم، وهذا الكون قائم على التنوع، وهو من مظاهر إبداعه، ومجالي ديمومته.

إنَّ مما يحسب لكم أن تكتشفوا الدروب التي يمكن أن ينجح فيها أبناؤكم، وتعينوهم على اجتيازها بأمان وسلام، وإياكم أن تتعسفوا في استعمال الحق الذي لكم عليهم فتقسروهم على أمرٍ لهم فيه سعة، وتحملوهم على رأي، لهم فيه اختيار مقبول آخر.

١٦- للفطرة والغريزة في أبنائكم متطلبات فاعملوا على تلبيتها وإشباعها، وأهمُّ هذه المتطلبات نداء الحاجة إلى الزواج وإعفافِ النفس وإرواء ظمئها، وإذا كان الزواج يشهد هذه الأيام تأخراً بسبب النظام التعليمي، وكثرة مطالب ذوي الفتيات، فإن على العقلاء والمربِّين أن ينظروا في هذه المشكلة نظراً جاداً، ويوجدوا الحلول العملية لها، ومن أهم المقترحات لحل هذه المشكلة العمل على منع عرفٍ فاسدٍ من أن يحكم ويتحكم في حياة الشباب والشواب، ويؤرق عيونهم، ويشغل بالهم، ويفسد حياتهم، ويدنس طهرهم.

١٧- أنتم تتطلعون إلى بر أبنائكم بكم ورعاية مشاعركم، فهل تعلمون أنهم كذلك يتطلعون إلى بركم بهم ورعاية مشاعرهم؟ لذلك فمن الجميل جداً أن يعود الآباء والأمهات بخيالهم إلى طفولتهم ويستذكروا الرغبات التي كانت تسكنهم، والحاجات التي أَرَّقتهم، ويعملوا - في ضوء ذلك - على تحقيق هذه الرغبات، وقضاء تلك الحاجات لأبنائهم، مع الأخذ بنظر الاعتبار فارقَ الزمن، واختلاف العادات، وتغير المسارات.

١٨- الأسرة - بكل مكوناتها، من آباء وأمهات وأعمام وعمات ، وأخوال وخالات، وأبنائهم من الجيل الثاني - مدعوة إلى التحقق بمعاني الأسرة الواحدة، من حيث العناية بالأبناء، وتقديم النصح والتوجيه والتعليم لهم.

إن ما يسمى بالخصوصية الأسرية يجب ألا يكون عائقاً عن تقديم النصح إذا وجب، والتوجيه إذا حق، وذلك بالأسلوب الدافيء الجميل، الذي ينصح ولا يقدح، ويستر ولا يفضح، ولتذكر الأسرة أنها كانت إلى عهد قريب تشترك في التربية، فالآباء يربون والأمهات يربين، وكذلك الأعمام والعمات والأخوال والخالات، وكان إذا تدخل هؤلاء وجدوا من الوالدين الشكر والامتنان، والرضى والعرفان، فالعين تتقوى

بأختها، والمؤمن كثير بأخيه، فلنعد إلى ما كنا عليه، لأن تربية الأبناء أعظم من أن يُفَرَّطَ بها بدعوى الخصوصية.

١٩- للصديق في حياة أبنائنا أثر كبير جداً، فانتبهوا لأصدقاء أبنائكم، ومستواهم العلمي والخلقي والسلوكي، ورُبَّ صديق كان لصديقه جنة ونعيماً، ورُبَّ آخر كان عذاباً وجحيماً، فحاولوا أن تمهِّدوا الطريق أمام أبنائكم إلى جنة الأول، وتجنبوهم الاحتراقَ بجهنم الثاني، وأثرُ الصديق على صديقه واضحٌ معروف، وقد عشناه جميعاً في حياتنا، ومن الواجب أن نفيد أبناءنا من تجاربنا، وأن لا ندعهم يقعون فريسة لصاحب السوء الذي يدمِّرهم ويدمِّرنا معهم.

٢٠- من الآثار التي لا تفنى، والعناية التي لا تمحوها الأيام، أن يقوم الآباء بتأليف كتب علمية وأدبية للأبناء، يودعونها من علمهم وأدبهم وتجاربهم ما يرونه نافعاً لهم، محقِّقاً لتكوينهم تكويناً قوياً. وقد كان هذا في الأسرة المسلمة واستمر مئات السنين، ومن هنا كان لزاماً على الأسرة المعاصرة أن تعتز بهذه السيرة، وتتابع تلك المسيرة، وأن تؤلف لأبنائها كتباً ورسائل بلغة هذا العصر ومعطياته، وسيسهم في دفعهم إلى ذلك وتسهيله وتذليله دافعٌ فطريٌ، هو حب الأبناء وإرادة الخير لهم، وسيقبل على هذه الكتب الصادقة المؤثرة غيرُهم، ويكون ذلك

وسيلة لتعميم العلم ونشر الثقافة. فلنكتب لو خطرات أو ذكريات أو تجارب، أو مواقف، ولو في كلمات.

٢١- لا تدخلوا الغمَّ على أولادكم، بالشكوى الدائمة من عوارض الدنيا، وحافظوا على تماسككم أمامهم، وحافظوا على أن يظل البيت دائماً واحة أنس، وملاذ راحة، ومستجماً جميلاً من أعباء الحياة.

٢٢- كان للعلماء والملوك والأمراء إسهام كبير في العناية بأبناء المسلمين، والنظر إليهم كأبنائهم، والحاجةُ إلى هذا الاسهام تتجدد بتجدد الأيام والليالي.

نحن أسرة واحدة، وأمة واحدة، وجسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

وما أجمل أن ينظر الجميع إلى الأبناء نظرتهم إلى أبنائهم، ويعاملوهم معاملتهم لهم، ويحرصُون عليهم حرصهم على أولئك!

٢٣- تذكروا - أيها الآباء والأمهات - أنكم إذا فرَّطتم بهذه المسؤولية، وقصرتم في اكتشاف ذرياتكم فإنكم ستحاسبون أمام الله، والتاريخ لكم بالمرصاد، كما رصد ثغرات وقعتْ، وغفلةً حصلت، فأعيدوا النظر في مواقفكم، وجددوا العلاقة بأبنائكم، وادرسوا ملفاتهم، وتغلغلوا في أعماقهم، واعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.

المصادر

- إتحاف السادة المتقين للزبيدي(ت:١٢٠٥هـ)، تصوير مؤسسة التاريخ العربي (١٤١٤هـ-١٩٨٤م) عن الميمنية، القاهرة(١٣١١هـ).
- الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب(ت:٧٧٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢(١٣٩٣هـ-١٩٧٣م).
- إحياء علوم الدين للغزالي(ت:٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت.
- الأدب المفرد للبخاري (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي(ت: ١٣٨٨هـ)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٤(١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
- الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح(ت:٧٦٣هـ)، تصوير مؤسسة قرطبة عن طبعة الشيخ محمد رشيد رضا.
- إرشاد السالك إلى أشرف المسالك في فقه الإمام مالك لابن عسكر المالكي البغدادي(ت:٧٣٢هـ)، انظر: أسهل المدارك.
- أسهل المدارك شرح إرشاد السالك لأبي بكر حسن الكشناوي، دار الفكر، بيروت.
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر(ت:٨٥٢هـ)، تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت عن طبعة١٣٢٨هـ.
- أعلام العراق لمحمد بهجة الأثري(ت:١٩٩٦م)، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط٢(١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م).
- إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للطباخ(ت:١٣٧٠هـ)، بعناية محمد

كمال، دار القلم العربي، حلب، ط٢(١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

- الأعلام للزركلي(ت:١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١١ (١٩٩٥م).

- الإقناع لما حوى تحت القناع لناصر بن عبد السيد المطرزي(ت:٦١٠هـ)، تحقيق: محمد أحمد الدالي وسلامة عبد الله السويدي، إصدار مركز البحوث والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ط١(١٤١٩هـ-١٩٩٩م).

- ألف با للبلوي (ت:٦٠٤هـ) ، تصوير الكتب ، بيروت، ط٢ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

- الإمام الرباني العلامة الشيخ أبو الخير الميداني لمحمد مطيع الحافظ، نسخة مصفوفة خاصة غير منشورة.

- الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة لعبد الغني الدقر(ت:١٤٢٣هـ)، دار القلم، دمشق، ط٣(١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

- إنباة الرواة على أنباه النحاة للقفطي(ت:٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، تصوير دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١(١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

- الأنساب للسمعاني(ت:٥٦٢هـ)، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، ط١(١٤١٩-١٩٩٨م).

- الأولاد ودائع الله عندنا لمعوض عوض إبراهيم، القاهرة(دون بيانات)، وتاريخ مقدمة المؤلف(١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).
- البداية والنهاية لابن كثير(ت:٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف، بيروت، ط٧(١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).
- تاريخ الإسلام للذهبي(ت:٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣(١٤١٥هـ-١٩٩٤م).
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي(ت:٤٦٣هـ)، تصوير دار الفكر، بيروت.
- تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري لمحمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دار الفكر، دمشق، ط١(١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر(ت:٥٧١هـ)، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت(١٤١٥هـ-١٩٩٥م).
- التحبير في المعجم الكبير للسمعاني(ت:٥٦٢هـ)، تحقيق: منيرة ناجي سالم، إصدار وزارة الأوقاف العراقية، مطبعة الإرشاد، بغداد(١٣٩٥هـ-١٩٧٥م).
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي(ت:٩٠٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٤١٤هـ-١٩٩٣م).
- تذكرة الحفاظ للذهبي(ت:٧٤٨هـ)، تصوير دار إحياء التراث العربي عن

الطبعة الهندية.
- التذكرة لابن الملقن(ت:٨٠٤هـ)، تحقيق: ياسين بن ناصر الخطيب، دار المنارة، جدة، ط١(١٤١٠هـ-١٩٩٠م).
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك لعياض(ت:٥٤٤هـ)، تحقيق: أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت. وطبعة المغرب، وأشير إلى المقصودة.
- تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد لعبد الرحيم العراقي(ت:٨٠٦هـ)، انظر: طرح التثريب.
- تقريب الوصول إلى علم الأصول لابن جزي الكلبي(ت:٧٤١هـ)، تحقيق: محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١(١٤١٤هـ).
- التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار(ت:٦٥٨هـ)، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر،بيروت(١٤١٥هـ-١٩٩٥م).
- تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر للشعراني (ت:٩٧٣هـ) ضبطه وعلق عليه عبد الجليل العطا، دار البشائر، دمشق، ط٧ (١٤٢١هـ-٢٠٠١م).
- تهذيب الرياسة وترتيب السياسة للقلعي(ت:٦٣٠هـ)، تحقيق: إبراهيم يوسف ومصطفى عجو، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط١.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي(ت:٧٤٢هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤(١٤٠٦هـ-١٩٨٥م).
- توضيح المشتبه لابن ناصر الدين الدمشقي(ت:٨٤٢هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، ط٢(١٤١٤هـ-١٩٩٣م).
- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي(ت:٣٢٧هـ)، تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية لعبد القادر القرشي(ت:٧٧٥هـ)، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة، ط٢(١٤١٣هـ-١٩٩٣م).
- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر للسخاوي(ت:٩٠٢هـ)، تحقيق: إبراهيم باجس عبد الحميد، دار ابن حزم، بيروت، ط١(١٤١٩هـ-١٩٩٩م).
- الحاوي للفتاوي للسيوطي(ت:٩١١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، تصوير المكتبة العصرية، بيروت.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم(ت:٤٣٠هـ)، تصوير دار الكتاب العربي، بيروت(١٤٠٥هـ).
- الدراري في ذكر الذراري لابن العديم(ت:٦٦٠هـ)، تحقيق: علاء عبد الوهاب محمد، دار السلام، القاهرة، ط١(١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون(ت:٧٩٩هـ)،

تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- ديوان أبي تمام (ت:٢٣١هـ)، (ضمن برنامج المكتبة الشاملة).
- ذيل الدرر الكامنة لابن حجر(ت:٨٥٢هـ)، تحقيق: عدنان درويش، إصدار معهد المخطوطات العربية، القاهرة(١٤١٢هـ-١٩٩٢م).
- الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب(ت:٧٩٥هـ)، تحقيق: حامد الفقي، تصوير دار المعرفة، بيروت.
- الرسالة القشيرية(ت:٤٦٥هـ)، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار الشعب، القاهرة.
- روح الروح لمؤلف مجهول من القرن الخامس للهجري، تحقيق: إبراهيم صالح، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي، ط١(١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي(ت:٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤(١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس لمحمد بن جعفر الكتاني(ت:١٣٤٥هـ)، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وآخرين، دار الثقافة ، الدار البيضاء.
- سير أعلام النبلاء للذهبي(ت:٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب لابن العماد الحنبلي الدمشقي(ت: ١٠٨٩هـ)،تحقيق:محمودالأرناؤوط،دارابن كثير،دمشق،ط١(١٤٠٦هـ-١٨٨٦).
- شكري فيصل: العالم الأديب المجمعي لمحمد مطيع الحافظ، دار القلم، دمشق، ط١(١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).
- صفة الصفوة لابن الجوزي(ت:٥٩٧هـ)، تحقيق: محمود فاخوري، دار الوعي، حلب، ط١(١٣٨٩-١٩٦٩)م).
- صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل لعبد الفتاح أبو غدة (ت:١٤١٧هـ)، دار القلم، ط٣(١٤١٣هـ-١٩٩٢م).
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي(ت:٩٠٢هـ)، تصوير دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عن طبعة القدسي.
- طبقات الأولياء لابن الملقن(ت:٨٠٤هـ)، تحقيق: نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣(١٤١٨هـ-١٩٩٧هـ).
- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي(ت:٧٧١هـ)، تحقيق: عبد الفتاح الحلو(ت:١٤١٤هـ) ومحمود الطناحي(١٤١٩هـ)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- طبقات الصوفية للسلمي(ت:٤١٢هـ)، تحقيق: نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣(١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

- طبقات القراء للذهبي(ت:٧٤٨هـ)، تحقيق: أحمد خان، إصدار مركز الملك فيصل، الرياض، ط١(١٤١٨هـ-١٩٩٧م).
- طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي(ت:٧٤٤هـ)، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١(١٤٠٩هـ-١٩٨٩م).
- طرح التثريب في شرح التقريب لأحمد أبي زرعة العراقي(ت:٨٢٦هـ)، تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت(١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
- العبر في خبر من عبر للذهبي(ت:٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٤٠٥هـ-١٩٨٢م).
- العقد الفريد لابن عبد ربه(ت:٣٢٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١(١٤٠٩هـ-١٩٨٩م).
- العقد المذهب في طبقات حملة المذهب لابن الملقن(ت:٨٠٤هـ)، تحقيق: أيمن الأزهري وسيد مهنى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
- العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج لعبد الفتاح أبو غدة (ت:١٤١٧هـ)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٤(١٤١٦هـ-١٩٩٦م).
- العيال لابن أبي الدنيا(ت:٢٨١هـ) تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، دار ابن

القيم، السعودية، ط١(١٤١٠هـ-١٩٩٠م)
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة(ت:٦٨٨هـ)، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- فتاوى مصطفى الزرقا(ت:١٤٢٠هـ)، اعتنى بها: مجد مكي، دار القلم، دمشق، ط٢(١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).
- فتح باب العناية بشرح كتاب النقاية لعلي القاري(ت:١٠١٤هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبوغدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢(١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).
- فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر(ت:٨٥٢هـ)، الطبعة السلفية.
- فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل(ت:٢٤١هـ)، تحقيق: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١(١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
- فقه المعاملات «دراسة مقارنة من كتاب أضواء البيان» للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، لخير عبد الراضي خليل مطيرة، مطبعة المعارف، الشارقة، ط١ (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).
- الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (ت:٤٦٣هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢(١٤٢١هـ).
- الفهرست لمحمد بن إسحاق النديم(ت:٣٨٠هـ)، بعناية يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

- الفوائد البهية في تراجم الحنفية لعبد الحي اللكنوي(ت:١٣٠٤هـ)، مكتبة خير كثير، كراتشي، باكستان.
- الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب لنور الدين الجامي(ت:٨٩٨هـ)، تحقيق: أسامة طه الرفاعي، إصدار وزارة الأوقاف العراقية(١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
- في ربوع الشام لمحمد مطيع الحافظ، دار المكتبي، دمشق، ط١(١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).
- في سيرة الحياة لأبي الحسن الندوي(ت:١٤٢٠هـ)، دار القلم، دمشق ط١ (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).
- فيض القدير بشرح الجامع الصغير للمناوي(ت:١٠٣١هـ)، تصوير دار الفكر بيروت.
- القول الصريح في الأدب الصحيح لكامل الغزي(ت:١٣٥١هـ)، مقال ضمن مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد الخامس(١٩٢٥-١٩٢٦م).
- الكاشف للذهبي وحاشيته لسبط ابن العجمي(ت:٨٤١هـ)، تحقيق محمد عوامة، وأحمد الخطيب، دار القبلة، ط١(١٤١٣هـ-١٩٩٢م).
- الكافي في الفقه على مذهب أهل المدينة لابن عبد البر(ت:٤٦٣هـ)، تحقيق: محمود أحمد القيسية، مؤسسة النداء، أبوظبي، ط١(١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م).

- كشف الظنون للحاج خليفة(ت:١٠٦٧هـ)، تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية للمناوي(ت:١٠٣١هـ)، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت، ط١(١٩٩٩م).
- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة للغزي(ت:١٠٦١هـ)، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٤١٨هـ-١٩٩٧م).
- لباب الآداب لأسامة بن منقذ (ت:٥٨٤هـ). (ضمن موقع الوراق).
- لحظ الألحاظ لابن فهد(ت: ٨٧١هـ) (ضمن ذيول تذكرة الحفاظ)، تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- لسان العرب لابن منظور (ت: ٧١٠هـ)، دار صادر، بيروت، ط٤ (٢٠٠٥م).
- لفتة الكبد في نصيحة الولد لابن الجوزي(ت:٥٩٧هـ) تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الإسكندرية.
- المجمع المؤسس للمعجم المفهرس لابن حجر(ت:٨٥٢هـ)، تحقيق: يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط١(١٤١٣هـ-١٩٩٢م).
- المجموع للنووي(ت:٦٧٦هـ)، دار الفكر، بيروت(١٩٩٧م).
- مجموعة رسائل الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود، إصدار وزارة الأوقاف القطرية، الدوحة، ط٢(١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

- محمد يوسف موسى: الفقيه الفيلسوف والمصلح المجدد لمحمد الدسوقي، دار القلم، دمشق، ط١(١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).
- المحن لأبي العرب التميمي(ت:٣٣٣هـ)، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢(١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان لليافعي(ت:٧٦٨هـ)، تصوير دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي(ت:٦٥٤هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط١(١٣٧١هـ-١٩٥٢م).
- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار، انتقاء الدمياطي(ت:٧٤٩هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
- المصباح في النحو لناصر بن عبد السيد المطرزي(ت:٦١٠هـ)، تحقيق: مقبول علي النعمة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١(١٤١٤هـ-١٩٩٣م).
- معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب لأبي الوفاء العرضي(ت:١٠٧١هـ) ، تحقيق: عيسى أبو سليمان أبو سليم، نشر مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمَّان(١٤١٢هـ-١٩٩٢م).
- معجم الأدباء لياقوت الحموي(ت:٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس (ت:١٤٢٤هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١(١٩٩٣م).

- معجم البلدان لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).
- المعجم المختص بالمحدثين للذهبي، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، ط١ (١٩٨٨م).
- معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف إليان سركس(ت:١٣٥١هـ)، تصوير دار صادر عن طبعة سركس بمصر(١٣٤٦هـ- ١٩٢٨م).
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١(١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).
- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لابن مفلح(ت: ٨٨٤هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، ط١(١٤١٠هـ-١٩٩٠م).
- المكافأة لأبي جعفر أحمد بن يوسف البغدادي المصري الكاتب (ت:٣٤٠هـ)، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة الاستقامة، القاهرة (١٣٥٩هـ).
- مناقب أبي حنفية للموفق الخوارزمي(ت:٥٦٨هـ)، تصوير دار الكتاب العربي، بيروت(١٤٠١هـ-١٩٨١هـ).
- المنتخب من معجم شيوخ الإمام الحافظ أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني التميمي (ت:٥٦٢هـ)، تحقيق: موفق بن عبد الله

بن عبد القادر، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١(١٤١٧هـ-١٩٩٦م).
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي(ت:٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد ومصطفى ابني عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٤١٢هـ-١٩٩٢م).
- نفحات الأنس من حضرات القدس للجامي(ت:٨٩٨هـ)، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٤٢٤هـ-٢٠٠٢م).
- النور السافر عن أخبار القرن العاشر لعبد القادر العيدروس (ت:١٠٣٨هـ)، تحقي : أحمد حالو ومحمود الأرناؤوط وأكرم البوشي، دار صادر، بيروت، ط١(٢٠٠١م).
- هدي الساري مقدمة فتح الباري لابن حجر، الطبعة السلفية.
- هدية العارفين للبغدادي(ت:١٣٣٩هـ)، تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الوافي بالوفيات للصفدي(ت:٧٦٤هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين العرب والمستشرقين، دار النشر فرانز شتايز-شتوتغارت، ط٣(١٤١٢هـ-١٩٩٢م).
- وحي القلم للرافعي(ت:١٣٥٦هـ)، تصوير دار الكتاب العربي، بيروت.
- وصية الشيخ الفقيه الحافظ أبي الوليد الباجي الأندلسي(ت:٤٧٤هـ)

لولديه، تحقيق: عبد اللطيف بن محمد الجيلاني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢(١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

- وصية تقي الدين السبكي(ت:٧٥٦هـ) لولده محمد، اعتنى بها: نظام يعقوبي، نشرت ضمن المجموعة الثانية من لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام، دار البشائر الإسلامية، ط١(١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).
- وفيات الأعيان لابن خلكان (ت:٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

الفهرس

الموضـــــــــوع	ص
افتتاحـيـة.....	٥
مقدمـــة.....	٧
تمهـــيد، وفيه:.....	١٣
- المنطلقات الأساسية.....	١٣
- الملحظ الزمني.....	١٤
- مفهوم الأسرة.....	١٤
صور مشرقـة من هذه الرعايـة	١٧
عمد الرعاية عند الأسرة المسلمة.....	٢١
الصـلاح الذاتـي.....	٢٣
استحضار حقوقهم في الذهن والاهتمام بذلك	٢٧
الدعاء والتماس الدعاء لهم	٢٩
عرضهم على الصالحين	٣٧
إطابة مطعمهم	٤١
تربيتهم وتوجيههم إلـى العلم، والعمل بـه نصحـاً وتطبيقـاً.....	٤٧
إحضارهم مجالس العلم وهم صغار.....	٦٥
مباشرة تعليمهم بالنفـس	٦٩
تفخيم أمر العلم في قلوبهم وعقولهم ونفوسهم.....	٧٧

الموضـــــــــــوع	ص
النفقـة عليهم في تعلّم العلم النافع	٨١
متابعتهم في أمورهم الكبيرة والصغيرة	٨٩
تعليمهم أدب الكلام	٩٩
العمل على تكوين شخصيتهم الاجتماعية.....	١٠٥
ربطهم بالله سبحانه وتعالى	١٠٧
إعانتهم على سبل الخير	١١٩
تلبيـة متطلبات الفطـرة والغريـزة	١٢١
برهم ورعاية مشاعرهم	١٢٣
تعليمهم اختيار الأصدقاء.....	١٢٥
تضافر جهود الأسرة والأقارب على هذه الرعاية.....	١٢٧
الكتابة والتأليف لهم.....	١٣٩
عدم إدخال الغم عليهم.....	١٦١
عناية العلماء والرؤساء بأبناء المسلمين.....	١٦٥
صور سلبية.....	١٦٩
نتائج الكتاب.....	١٧٣
نداء إلى الآباء والأمهات.....	١٧٩
المصادر	١٩١
الفهرس.....	٢٠٧